بكـــر أبوبكـــر

صدر السماء الحافية

نصـــوص

بـكر أبوبـكر

صدر السماء الحافيـة!

نـصوص

دار الأمين للنشر والتوزيع
حقوق الطبع والنشر محفوظة

2012

مقدمة

نصوص نثرية أخرى من مسار الكاتب الذي أبدع في الكتابة السياسية والفكرية فألف فيها الأبحاث والكتب، كما أبدع أربع مجموعات قصصية مهمة هي: لم لا، وفي الزمن الواقع بإمكانكم أن تطيروا، والثالثة ثلاثة شروط بسيطة والرابعة ليس للفقير أن يحلم.

تأتي هذه النصوص النثرية لتجمع ما بين الشعر والمقالة والنص الأدبي معا للكاتب بكر أبوبكر بعد أن صدر له مجموعة سابقة هي : برق مقيم، لتضيف إلى جهده العلمي مضامينا أدبية إبداعية تستحق التقدير الكبير.

يتنقل الكاتب والأديب بين المنثور الأفقي والمنثور الرأسي –لأنه يرفض أن نسمي كتاباته الرأسية شعرا– فيضيف إلى حلاوة الوجدانيات التي يتحفنا بها طلاوة الكلم الرشيق والمعاني الواسعة، ما يثير فيك الشجن والتوثب، كما يثير في روحك الألفة والحنين والمحبة والخيال.

من الواضح أن إبداع الكاتب مرتبط بمكونات شخصيته وثقافته ، وأيضا ببيئته المنفتحة على الأفق العالمي برحابة وتسامح يشهد له بها.

الناشر

دار الأمين للنشر والتوزيع

فلسطين–رام الله– العام 2012

المحتويات

بركة الإمام أدام الله ظله!

تحية إلى جفون الوطن

حاكم المردة

حيث لا همس ولا وجوه!

عمار النمر الذهبي !

هناك حيث اليقين !

الهند حيث تتصالح الأشياء والكائنات

صديق!

تباطأت والرذاذ.

تباطأت
انحنت ، تلوّت ، انكمشت
تباطأت.
توانت عن الصعود
تجهّمت
وقصّرت في الحراث.
آلت إلى الذبول عندي
عندما تقيأت حدقاتها
وغسلت شطآن قلبها
وارتدت ثوب الرحيل
وألقت بي في القناة
جثة مهشمة
ومصباح منفّر
وعين قصدير
وإبرة صدئة.
كانت تصنع الشذى
وتحزم القصب
وتتسع بلا حدود
كانت.
فأضحت ترمي بعينيها شواظ النوح
وتلجم عرق المحبة
وتطلق سواد القلب
ورعونة الثأر.
عندما تعرفت عليها

كانت قارورة عطر
وعود خيزران
ومرجل نار
وفرس لينة
وفرصة أكيدة
وما فارقتها إلا بعد أن تباطأ الرذاذ
وسقط العبير
واغتم القمر
واختنق الدرب.
دهر مضى
قتلت فيّ الأشياء
روح صافية
واستئثار كبير
وقسوة متوارثة
وعنفوان لا يزول
وإرادة معقودة.
بيديها المعاندتين
وعقالها المربع
ونشوزها البلوّري
أطفأت مصابيح الصهيل
وأقعدت مراكب العشق عن الابحار
وحطمت ساقاي.
بعد قرنين
أبت الصعود
وتراكضت نحو الأسفل
قبلت الذبول والدنية

وأدارت لي ظهرها العريض
ووجهها المشقق
واندحار سبلها.
كانت قد حزمت أمرها
وتولت من وجهي هاربة
لأنني شلال الكهرمان
والنور الصامد
والردم العتيق
وحياة اليوم وكل يوم
ومالك الرذاذ المقيم
على نافذة الحلم.
توارت من حياتي
لحظة بلا قدمين.

ذهبوا سِراعاً.

ذهبوا جميعا
ما بين متشوق ومتردد
حيث النجاة والعيش المريح
ذهب الذين أعزهم
والباب أوصد

(2)
حبْواً
بخفّة
ثم ركضاً
مالوا عني متسارعين
وارتفعوا في جبيني قمراً
وأرخوا الطرف حالمين
ذهبوا
وخلاصة العقل
ومن القلب نوّاره
اختطفوا

(3)
صعدت القطار بلا أنيس
بلا أحلام
بلا أيام
بلا جليس

(4)

وفي الشارع المجاور لم يغضب أحد
وفي الشقة العليا تعالت الصيحات
والعويل
وجمهرة تشاهد مباراة في الكرة
وتلميذات الابتدائية يحملن حقائبهن
والمدائن تزهر كل يوم
والغصن قد مال
بما ثقل
فتعلمت البكاء ونسيت الغضب

(5)

آثرت أن أنكفىء
وأهدر بصوت عالٍ
في الغرفة الموحشة
تضمني الجدران والماضي
ورحب ما انقضى وفات
ورياح القادم السموم
وحاجة ملحّة في قلب كسير
وعيون موؤودة
وكتف غمامة
وبلوط أزرق اللون
ورغبة في التمزق

(6)

لكنهم

ذهبوا سراعا

ذهبوا جميعا

ما بين فرِحٍ ومستجير

والباب أوصد

وأغلق النهج

وعدت لأغفو في حضن البريق

وارسم نشوة العبرة في قلب السديم.

ياسر في عين الدّر.

مهداة إلى شقيقي ياسر أبوبكر أحد قادة الانتفاضة، والذي حكم عليه عام 2004بالسجن ثلاثة مؤبدات وأربعين عاما في معتقلات الاحتلال الصهيوني

ياسر في عين البيدر

طار فوق ربيع الدار

وتنقل حفيفا يمس فينا الخدود والصدور

ويلقي علينا بالصباح تحية

ياسر في عين الدّر

يركض فوق كمائن الموت ويفصّل الرجوع

يبني للغد الحر في حديقة الأحلام مربعا

ويتخذ من أقصى المدى سلّما للشمس

يناجي الخندق والرمز وعاهد والنخيل

ويشرب من نبع الحياة ذاكرة

ياسر

كان يتعبد في مسجد الأطهار

ويرش ماء الورد في أرض الخبر

يزرع المرافيء ويتوضأ في فجر النوى

ثلاثون عاما والأجراس صامتة

حتى أقام ياسر لميلاد الحجر عقيدة

ياسر رجْعُ الصوت

يقول في الوطن كلاما ساخنا
وينقّل فؤاده بين جباله والسهول
يطلع من فلقة الصبح وحجارة الندى
يرن صوته في أذن الأقحوان والزمان
ويعود بين المسافات والدروب مجلجلا

ياسر نعمة الصعود

ما قبل أن يحشر في منزل ورفاهة
أو يسدل الستار عليه في خِدر وحرير
أو يقمع الرغبات والحنين والفوز الكبير
فانتفض لأرض تسقى من ربيع القلب
وتصل النياط بالأوردة بالدمع السخي

ياسر في صدر الكون

يرفع رأسه دوما وأكتافه عالية
لله يحني الرأس ولا ركوع لنازلة
يقوم حيث الناس نيام والدنيا غانية
في انتثار الصبح يرجو الحبيب ويتلفع بالغيمة.

ياسر المكحول

ارتسم في كحل العين دربا للأقصى
وحيث رفع هامته والتقط العبير
وطار نسرا في ضياء العبور

اختراق القلعة.

لم أكن!

لم أكن من ذلك النوع من الناس الذي يتماهى مع الآخرين: ينشيء وينخرط ويتواصل في علاقات اجتماعية فعالة، وآثرت أن أرتبط بعلاقاتي في حدود العمل . لذلك لم أصعّد من معظم علاقاتي إلى درجة أعلى ، ولم أنقل هذه العلاقات معي إلى البيت حيث المكان والقلعة والصومعة (ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم ، وليس ذلك إلا مولاك الكريم، خير من أن تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك إليه)*.

لا أدري مكمن السر في طبيعة علاقاتي غير المنقولة معي إلى حيث المكان والقلعة، ربما لأنه مكان وربما لأنها قلعة. أي لأنني صنعت من انعزالي النسبي، ابتعادي، انسحابي من العلاقات الاجتماعية صنعت منه انعزال المكان وهذه القلعة حيث الراحة والهدوء.حيث التأمل والتفكر، حيث الصلاة والوجد، والتخلي عن واقع كان دوما متوترا شديدا في رأسي، أي في ركن الأسرار ومخزن الفواجع ومفتاح الحقيقة... الصومعة. (لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعو ن-(سورة يونس58)*.

عزلة البحر.

ينزع المفكرون والكتاب والأدباء والمجتهدون والعلماء والمتصوفة إلى العزلة والبحر والجبل والبعد، (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة)*

يفضلون قضاء الوقت فيما يهمهم ويشغلهم لا ما يهم الآخرين ويشغلهم والذي قد يكون ما للآخرين هو ما يهمهم ويشغلهم، ولكنهم يتعاملون معه بإرادتهم وبترحاب استقبال الأنوار دون فرض عليهم، يتعاملون معه ضمن صيغ تفكيرهم و أولوياتهم وفي حدود رغبتهم وإملاءات السحاب والفيض الوارد الممزوج بوعيهم الذاتي... ربما أكون مع هؤلاء وضمن أحد فئاتهم وربما أكون آثرت التحلل من مشاكل الآخرين، ومن مشاكلي الخاصة بالاعتزال وكف التفكير المفرط في المتعب والضار والمقلق منتقلا إلى مساحة الموج والهواء المنشط وأوراق اللوز (متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به)*.

كل الحواشي أصول

لا أريد الخوض في مراحل التكوين والعجينة حيث وقفت تلك الفترة على الدراسة دون حياة اجتماعية فانحصر الوق ت في الغالي والثمين من أفكار الآخرين عبر الكتب والورق، درس وبحث وتقصي وخوض في بطون شغوفة للمس الأيادي وتدقيق العيون، بيت فمدرس ة فمكتبة فملاعب صبا محدودة، ولربما ساعد انشغال والدي في المُلِحّ والنضالي حيث فلسطين تحمل في القلوب وبين راحات اليدين في خلق جو ناضج وجو جدي وجو حصري الاتجاه حيث كل الأمور قضاي ا، وكل الهوامش نصوص وكل الحواشي أصول، وكل الطرائف مفاهيم...

فألقى الجفاف بثقله في الروح والقلب... ولم أعد أعلم بعد كل هذه السنوات ومع كثير من الشطحات والتغييرات هل كان السبب فيّ أم فيهم أم في البيئ ة أم ماذا؟! المهم أنه تشكلت فيّ حياتين حياة فانية قصيرة معاشة مفقود الأمل منها حيث الآخرين ضمنها وحيث (أورد عليك الوارد ليستعملك من يد الأغيار ويحررك من رق الآثار، وأورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك)*، وحياة لظى وتشوق ووجد واستقبال مع ذاتي لم تنفصل عني إطلاقا حتى استطعت أن أنزعها من مستقرها لتظهر لاحقا بالصمت الحاكي والكتابة الناطقة والخطابة والتأمل.

عزلة الصخب

في عزلة الصخب ألفت العيش وأحببته، أتواجد في بُهرُج المدينة، أنظر ولا أنخدع، أسمع ولا أتكلم، أشاهد ولا أشارك بل أختزن في عقلي وذهني وأعيش في فيء الصخب في ذاتي وكياني وأشيائي الصغيرة، في متاهات عقل ي، في رحابة أفكاري وأفكار الآخرين، في ضياء النفس وانفراجها، في ضيق خاطري، في انكماشي وقلقي واندفاعي واحباطاتي ويأسي وأملي، في لحظات الخيبة والسعادة، في لحظات الأمل والمنى، في لحظات الرغبة والنشوة والتفجع والألم، في شدة الإيمان وتوتر العزم، في قدرة الاستعادة لما مضى أو صنع ما هو قادم.

في البيت، حيث محيطه الخالي من الأجوار، وفي قلعتي، في بيتي، في ذاتي حيث مستقر الصومعة، في نفسي امتلك كل شيء، وأحيط بكل شيء، أسيطر على ما أريد، أحوز على ما أريد وأرفض ما لا أريد... لا ينقض على دماغي أحد، ولا تفرض عليّ مشاعر أو واقع أو أولويات لا تهمني أو استغلال لوقتي يفرضه الآخرون عليّ...يضيعون وقتي ويهدرون ثروة فكرية وعلم يتراكم ويتكاثر في أحضان السكينة المتولدة مع انعزالٍ محمودٍ في مسالك الفكر في وقت محدد في إطار المكان والقلعة والصومعة(العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه)*.

في الصومعة آمنت ونهضت، خططت ونظمت، استقبلت وجهدت، نفذّت وأنجزت وأوجدت، وفي الصومعة تأملت واستعدت قوتي وانطلقت، وكنت ما أصبحت وما أحببت وما لم أقبل فيه التخطيء أو اللوم.

دون تخطي.

اختلطت ضمن عملي في الواقع النضالي بالعديد من الشخصيات والأفكار وبقيت معظمها ضمن الدائرة الواسعة البعيدة، والقليل منها اقترب من دائرتي اللصيقة، القريبة فسعدت بأن يكونوا أصدقائي وحتى ضمن هذه الدائرة بقيت القلعة والمكان والصومعة دون تخطي إلا للقليل من الخاصة أو خاصة الخاصة....من بلد صحراوي مصفر إلى بلاد الاخضرار والبهجة والفؤاد المتقد إلى فلسطين، وتجوال متصل لمدن ودول عديدة في العالم خلّف علاقات عديدة كلها ارتبطت بواحدة من الدوائر البعيدة أو القريبة أو الخاصة، وفي تلك الخاصة المحدودة كان في كل مرحلة لا يتجاوز العدد أصابع اليدين وربما حتى الآن.

لا تأنس الصومعة ولا تتقبل القلعة الغزاة، ولا يرحب المكان بالآخرين بسهولة ولا يحتفي بهم...لا تقرّب سهل ولا انبساط كثير، فالصومعة قوقعة صعبة الفتح، طاردة للأغراب، والقلعة مساحة مسوّرة عالية الحوائط، لا يدخلها إلا العدد المحدود وبتصاريح صعبة المنال...في القلعة حيث الخدمات قليلة والتموين متناقص لا يستقر مقاما إلا النساك والزهاد والصوفية، القلعة تحد وتحاصر وتحيط وتمنع وترفض، والقلعة كيان حصين وحاوية مقفلة القلعة حجاب من الأعداء طارد للأشرار، مستقر أنيس هي ومحيط ممتع لذيذ (إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك)* لا تخطي إلا للقليل ولا استقبال حفيّ إلا للبضع.

اختراق وبسط وفرم

من حاول دخول القلعة فشل حتى لو استوطن المكا ن حيث الجيرة، ومن دق بابها وجد الأقفال ثقيلة والانتظار ثقيل فانتقل للدائرة الثانية أو الثالثة...ربما فهم وربما لم يفهم. ومن فهم ظلّ صديقا في فهم محمود لنظرية العزلة في القلعة والذات،

ومن لم يفهم انسلّ بعيدا وانسحب، وربما ظنّ فيّ التكبر أو الترفع عن الناس وما كان فيّ من ذلك شيء (إذا أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزّن بعز يفنى)*.

لم يخترق القلعة إلا عدد قليل، مجموعة غالية، ورفقة حانية وصداقات تقبِل حيث الإقبال متشارك وتحجم حيث الإحجام مصان من الأذى، ومرحّب بهم إلى أبعد الحدود. أما كيف اخترق هذا العدد المحدود القلعة؟! فالسر فيهم كامن والسر فيما يفعلون باق وكامل (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه)*، وربما هذا ما حصل؟!

اقتربوا كثيرا...ثم اختفوا

كانت هي، وكان هو، وكانوا هم... ممن اخترقوا ودخلوا وتربعوا، ناقشوا وحاوروا وقالوا وفعلوا وأفادوا وقادوا، لم أكن ممن يبحث عن الآخرين–وربما يكون هذا من مساويء ما أرتبط بالعزلة– وكانت هي وهو وهم ممن يضيئون الدروب ويشيعون الغبطة، ولا يقبلون بالهزيمة فاقتربوا كثيرا حتى لم يعد للعزلة عنهم–هم فقط– أي معنى، فارتبط المعنى بالبعد الخامس فيهم.

هي وهو وهم ذهبوا...تفرقوا أو سيتفرقون حيث المكان لم يعد يتسع لنا ولهم معا، أو حيث الخيارات كثرت والبدائل اتسعت والفضاءات انبسطت...بعد أن تخطوا الحواجز كلها فدخلوا المكان بروية وثقة ودخلوا القلعة برفعة ولطف وبريق وكثير من الأنوار، وبعد أن نفذوا إلى ذاتي وكياني ونفسي حيث الصومعة تحيط وترسم، تنشيء وتخط وتقيم وتقعد، ترحب وتقرب وتبعد وترفض، تقود الأنا في مساحة الآخرين وتجذب الآخرين لمساحة الأنا...نفذوا دون اقتحام أو زحام أو شقة، ودخلوا بسلاسة دون أن تلتبس عليهم الطريق حيث القلب المكلوم المنتفض الناهض، وكانت منهم

زهرة الليمون وكان منهم الموج الصاخب وكانت منهم رائحة الحليب وكان منهم السر الدفين...

ولكنهم فجأة بعد أن دخلوا، بع د أن حققوا الكثير.... اختفوا، هكذا بلا سابق إنذار، اختفوا... فهل تراني فيما كان مني من عزلة مخطيء أوملوم؟؟!

*عبارات مقتبسة من الصوفي الشاذلي أبو الفضل أحمد بن محمد الجذامي السكندري المعروف باسم ابن عطاء الله السكندري حيث الحكم العطائية.

-فلسطين-رام الله ، بكر أبوبكر حيث منع الاحتلال العودة للبيت إثر عملية فدائية وقعت فأغلقت الحواجز طرقات النفس والدروب.

اسطنبول نشوة الدنيا.

مهداة إلى ليلى و بشرى، وسلال الزهور.

عندما تهبط إلى الأرض من منفذ اسطنبول
تأنس وتُشدَه وتولد
لأنك تحتضن العالم
تطوق الجهات الأربع بين ذراعيك
دون أن تفلت منك بقعة ضوء أو سحابة رضيعة أو قطرة ماء متدفقة
أو وجع طائر أو حريق قلب غزال.
وعندما تغيب الأشياء عن التدفق
إلى بئر الذاكرة في حديقة عقلك
فإنك تفرغ كليا، تخوى
لتترك البئر –دون إرادة منك–تمتليء بالحماسة
والتوثب، بالتوتر والخجل
والترقب لانفتاح الباب بشرى الحالمين
أين سطوع الشمس في وجه القمر.
تخجل المدائن وتتوارى كسوفا حين تطلّ اسطنبول
وتشعر الحواضر بالتوتر حين تقبل من بين الجميلات مدينة الفاتح
بشعرها الأسود الناعم المنسدل
وبخصرها العطري النحيل،
بوجهها الوضّاء الجليل
وبعينيها الوادعتين.
تنهزم السيوف والأسوار وتتوتر القلوب أمام رفيف نورس.
تنجرح الأكباد وتركع الظنون
وتنفرج راحة اللقيا حين لا راحة تداني ملء الكفين من ماء الخلود

على ضفاف البسفور المفطوم على الأنفة والاندحام.
عندما وقف الصقر العثماني على الشاطيء الآسيوي
وألقى بنظره من فوق حصانه الأصهب صوب القسطنطينية
كان يغزل الفجر
ويرسم خريطة العالم على جرح القرن الذهبي
كان يستبدل تاريخا بتاريخ
وصفحات بسِفر
كان يسمع نداء الله في الطبيعة البِكر
ويكبّر
ويستنشق الهواء المخطط
ويلبس أطواق الهديل.
ما كان محمد الفاتح ليتغافل عن سمو اللحظة وإشراق النعيم
وعناق البحر المنهمر فوق الرؤوس وبين الضلوع
وفي عيون الخيل.
ما كان لينتظر طويلا حتى يحتضن الأربع بين زنديه والكفين
وفي جنبات الروح
وما كان ليرفض النداء
فاستجاب بكل العشق والجزيل
ليمتلك الأزمان ويحقق العظمة والسناء.
تزور المدينة
فتفتح لك الجيب منها والإزار
فتدخل اللظى والنعيم
لتجد في (السلطان أحمد) هوى منقوش
وفي الباب العالي اعتصار للجبروت
وفي سهاد البحر مرآب للطيور
وفي المسجد الأزرق ارتفاع جليل

وفي جزيرة الأميرات انبجاس للمشاعر
وفي قصر السلطان دموع كثيرة وزمن مرتفع
وفي انتفاض الأنوثة دعوة علنية للرقص في ضوء الحريق
وفي رقدة الأشجار على خد الجبل صيحة
وفي غسيل البحر الدائم لأقدام السفوح ليلى.
الكثيرون مرّوا في طرقات المدينة
وتحسسوا بأيديهم طلاسمها والشواهد
ربما فكّوا رموز حجارتها في مساجدها الأسطورية
وفي متاحفها وفي قصورها وفي قلاعها وفي بيوتها وفي مقابرها وفي أسواقها
في مزاراتها وفي مكتباتها
في أزقتها وخمر الوجود
وفي ثنايا حورياتها وعرق الصبايا.
القلّة مروا في المدينة واستطاعوا الإمساك بقلبها
بروحها
ونفذوا حيث نجوى المحبين تمتزج بجرس أصوات الصوفية
وصهيل القبور
وعازفي الوتر
ومترنمي التجويد.
قد تدخل المدينة وحدك وقد تدخلها زوجا
أما أن تدخلها في أزواج ثلاثة،
تتعانق أنت وشريكك وزوجين آخرين
من أعز مقربيك وأصدقائك
فإنك تمسك بقمة البهجة
وصحو النجيع وعزة النوى وجمر الورود
وتحقق نشوة الدنيا.
ستة في واحد دخلنا قلب اسطنبول والروح

وواحد كنّا مقابل شاهق الجمال وعميق الحلاوة
وكثير الطلاوة في ماء كثير
يحيط ويدور ويتموّج ويترقرق بين العيون،
وفي سماء الألم
من انكسار اللحظة وانفراج الأصابع.
عندما تدخل اسطنبول تمتلك جلّ ما لا يدرك
وتحتضن ما لم يكن مقدرا لك
ولا تفلت منك قطرة أو سحابة أو لون
وتقدّر أنك ما كنت قبل اليوم بين العائشين
لأنك في اسطنبول تنال الارتواء
وتحقق نشوة الدنيا.

مقامات بكروية[1]

الكتابة والكلمة

الكتابة تعبير عن استواء الروح على عرش الكلم ، والكتابة انتصاب الفكر في حديقة الكلام ، والكتابة فعل مبرر ليائس قبل الرحيل ، والكتابة عشق بلا حد وأمل بلا سد. وهي فعل الاندماج في القائم والآفل والقادم، والقادم اقتطاع للكثير من الأحاسيس والأفكار والذكريات، والكتابة نور ينبثق قسرا دون قدرة لأحد على إطفائه.

لا النجارة أو الحدادة أو الرسم أو القصة أوسواقة السيارة يزحزح دبابة ، وإنما كل هذه الأعمال هي اعتراف بعظمة الخالق الذي وهبنا الحياة وجعل منا من يحفظ حق البقاء بالتعبير عن ذلك بمختلف الأشكال والأعمال ما لا يزول وفي المقابل يزول الاحتلال وتزول الدبابة. إن الدبابة فعل خوف ، والدبابة فعل مؤقت. بينما الكلمة فعل أصيل وفعل لا يزول ، مؤثر وقابل للتغيير.

الوطن

الوطن أعجوبة الارتباط بما هو روحي ومادي بما هو بسيط ومركب، الوطن بساطة الحب والانتماء ، والوطن حاضن المكونات للشخوص ، وبوتقة الصهر للتناقضات ، والوطن ببساطة أنا وأنت في المجال الواسع الذي يضمنا وينعش لنا الأحلام ويسمح لنا أن نطأ آلاءه بمودة .

إن الوطن أصبح في الصدور أكبر من مساحته الجغرافية وفي الأفئدة اكبر من قدرات أبنائه على تحدى المستحيل واللامنطق الذي يحكم العالم. إن التسلط العلوي والاستعباد العالمي للفكر والثقافات والناس والجغرافيا يجعل الوطن يتقلص ليندفع في الصدور يتخذ ما يشاء من مساحة . وإن كان في ذلك ما يعلي من درجات الولاء للوطن فإنه في المقابل يضع تحدي المفهوم أمام الجميع . فالوطن في

[1] من حوار مع الصحافية منال خميس، نشرت في صحيفتي الحياة الجديدة والصباح.

القلب لدى الجميع وعندما يطرح أمامهم تختلف الرؤى إليه وتدب حينها فوضى التفسير للمصطلح والمفهوم.

الهندسة

لست شاعرا وأحب الشعراء، وإن كنت مهندسا فقد استفدت من الهندسة التفكير العلمي وتحكيم العقل والاقتصاد في الوقت واحترام الإنجاز، وأدعي أنني كاتب وأحب ذلك كثيرا، وعملي في التنظيم السياسي أصبح جزء من كياني ، ولو خيرت بين هذا وذاك لاخترت عناصر كثيرة شكلتني من هذا وذاك وجعلتني ما أنا عليه الآن متوافقا مع الله والنفس والوطن.

الأدب

أن الأدب مشذب للروح وفي السياسة أوجاع وأفخاخ ومكائد قد لا يداويها إلا الأدب والقيم ، في السياسة الحقة قدرة على التعاون مع الناس بصدق ومحبة وعيون مفتوحة وفي السياسة ابتكار للتحايل على الضعف وخاصة في هذا الزمن. وفي الأدب اختراع للحلول قد تبرز حلما لتتحول في الفكر مدخلا للتعبئة وللتغيير وفي السياسة خطة وأجنده.

جمال الآداب عامة تعبيرها عن الكل برموز القلة ، وتعبيرها عن العالم بعيون الفقراء والناس العاديين، ولا أعتقد أدبا يصل العالمية منطلقا من المريخ أو من سعي لنقض مكونات المحيط.

الأدب الممتع هو الأدب الذي يعبر عن ثقافة المرء سواء كانت ثقافته محلية أو إقليمية أو كونية ولذة التذوق في تعدد التعبير عبر الأدوات وكلما تنوعت العناصر تعددت الشرائح الممكن الكتابة وفقها ما يجعل من الأدب والثقافة سيل غير منقطع وموسيقى دهرية.

الحداثة والاصالة

الحداثة والأصالة ، التجدد والسلفية مفاهيم مختلطة عند الكثيرين.فلو اعتبرنا السلفية توقف وانقطاع لخرجنا من مسار العصر ولو اعتبرناها منبع التجدد ومدرسة الاحتضان والحصانة لحققنا جل الاستفادة. أما الحداثة بالانقطاع عن الأصالة فهي خروج للإنسان من ثوب جسده حيث لا انفصال بينهما ، والاستفادة من حضارات الآخرين واجب دائم وضرورة أكيدة دون إلقاء الثوب جانبا أو نقض إمكانية البحث في الأصيل ما يبعث فيه كوامن القوة وإمكانية التجدد الدائم . وحضارتنا العربية الإسلامية حضارة تجدد وأصالة وتحديث غير منقطع، وهي تفتح ذراعيها دوما لمن يبتغي الاستفادة منها والتجديد.

هناك من الحداثيين من يرى الانقطاع الكلي عن التاريخ وعن الوعي القومي وعن الوعي الديني أي باختصار يفهم الحداثة تماهي مطلق مع الآخر ومحو للخصوصية واندماج بتصاغر ضمن ثقافة الآخر . وهذا ما لا أراه فالتحديث في الفكر والتجارب والتعبير والأدب ملزم بقدر اعتماده على أدوات الوعي الذاتي وبقدر اقترابه من الناس وشؤونهم وليس بعيدا عنهم في تهويمات لا يفهمها أحد. أما الصراع والجوع والحروب فهي من صنع يد الانسان وتعامله الفظ مع نفسه والطبيعة . وهي من فعل التسيد وعقلية المطلق والاستبداد

المثقف والثقافة

المثقف هو الناس والمثقف هو الكل ولا خصوصية إلا ما يعتبرها الشخص من مكونات ذ اته بما لا يفصحها إلا له وللقلة. ولا ثقافة إلا نتاج أمة وأفرادها هم يصنعونها ويبتكرونها او يطورونها ليصبح رغيف الخبز ثقافة والزعتر والزيت والبرتقال ثقافة والأسير والشهيد والحجر والكوفية ثقافة.

أما أدوات التعبير وأوعية الإفصاح فتختلف بين فرد وآخر فهي تظهر في (العواف ياغانمين) عند الناس جميعا و عندنا، وقد يحل محلها صباح الخير ، ما تظهر في (ميرسي) عند الآخرين.

لست مع اعتبار الثقافة مقصورة على فئة من الناس أو طائفة. ولا تقاس الثقافة بحركات اللسان وفصاحة الكلام كما لا تقاس بحجم الورق وعدد السطور أو مساحة الظهور العلني في دنيا الناس. وعليه لا أقر أن المتفذلك مثقف أو الوجه التلفزي مثقف أو الشاعر مثقف أو الكاتب مثقف أن الثقافة باعتبارها نتاج لمكونات كثيرة صادرة من الشعب والعشب والأرض فهي من خلالهم جميعا وبأساليبهم المتنوعة، إنها ثقافتهم... إنها هم.

الابداع

وإن كنت كما ذكرت سابقا لست شاعرا وإنما كاتب وقاص ولكن أقول عامة أن التجدد قدرة عقلية نابعة من جدول أعمال يومي لا يقبل الركون والخمول ولا يقبل السهل والوضيع ولا يقبل الرجوع وعدم القيام. إن عقلية الإبداع هي عقلية الاتيان بالجديد واللامع والمضيء والسامق من أشياء بسيطة لا يبدو فيها الإمكانية أو الحياة. إن بث الحياة فيما يظن الآخرون فناءه تجدد وإبداع.

اللغة

اللغة أعظم اختراع بشري فاللغة أداة التعبير المتقنة عن الحلم والمتراكم والموجع والعميق. وبغيرها لا تعبير واضح عن شوق أو نفور ، عن سعي أو أفول. إن اللغة تعبير عن اندماج للجسد في فراشات الروح ومفتاح الأسرار الإلهية في فكر الانسان.

العربي الداجن يرقص في رفح!

يجلس على الأريكة الفارهة
ويضع أمامه كأسا مليئا بالسائل الأصفر
مع قليل من المكسرات والفواكه الجافة والحليب
ويتكيْ على عدد من الوسائد الوثيرة
يمد رجليه (البغليتين) على كرسي مُنجّد
يتمطى بعرض الخريف وطول النوم
وينثر من يده اليمنى محطات (التلفزة) وقنوات الأثير
أنه لا يحب القليل بل يعشق منها الكثير الكثير
هنا ترقص مهرطقة على قلوب الهواة
يرقص العربي المخدر معها بهز كتفيه وعنقه اللولبي
وهناك تتعرى رطبة القوام أمام ملايين النظّارة
وفي قناة الفرنجة (شريط) لم ترَ مثله عين بشر
وفي محطة أخرى برنامج يزرع الشهوة وينزع النخوة
يتثاءب (الفطحل الصنديد) بعد منتصف الليل بساعتين
ومازال يقلّب القنوات الرقمية، يقفز ويثبت ؟!
يقفز عن ألوان الدموع وأنهار الدم ونكبات الموجوعين
ويثبت على آهات وحناجر صدئة وشبكة فاسقات
يصارع حاجته للنوم ، إن الليل عنده لم يبدأ بعد
لا بد للعربي المخدر أن يصوّت لذاك الألمعي الحزين ولتلك الخاسرة
رسالة قصيرة أو اتصال غالي الثمن... لا بأس في ذلك!
فالعنوان إلى قلب الحبيب يمر بالهاتف النقال !
لم تستهو اللعبة زوجة عاثرة الحظ ذات ضمير

جلست سعاد تندب المائتين بين جناحي الأمة في رفح وجنين
تلقي بظلال بؤسها في رمل الطريق ومحيط الآهات
تستجدي لمسة اصبع للعلبة السوداء الثمينة
فلا تشاهد ما رطب ورطرط واستدار
ذاك الذي استطابه بعلها العربي المخدر المغوار
في عيون النهار دويّ رعود
وفي قفا الليل تتناقل الريح صدى المذبوحين
مدفونين تحت الأنقاض أو أموات برمشة عين
ناجين في رفح يبكون وآخرين يغالبون أو يتجلّدون
في شارع السلام عشرات ينتفضون
بين جروح ساخنة وجثث رطّبت الأديم
في رفح يصنعون العسجد الموشى بالصاعقة لملايين الموحدين
وقف المسيح طويلا فوق الجدار
وأطلّ بناظريه يرمق الداخل والخارج
في رفح تجاسر الفرح على الصديد
وفي رفح حيث يضحكون رغم تواصل النجيع
كان المسيح يقف فوق الجدار
جدار الألم الممتد من شمال جنين حتى جنوب رفح
يعلن ابتداء العويل من هناك حيث ابن عامر
ويربط بحبل كثيف تل السلطان بحي البرازيل
والعربي المخدر لا يرى إلا بعين شهوته
أثداء وأفخاذ وملمس حرير.
أنفاس متقطعة ولسان متدل وكرش متراقص ولا بديل
مازال الغضنفر يقلّب القنوات ويتوقف طويلا
حيث المطايا يتثنين بأرداف تهتز ذات اليمين وذات الشمال
يغالب العربي الداجن نعاسه واحتقان أنفاسه سكرته وانخراسه

والرغبة كامنة في عمق ذاته الباردة الخربة
وهي تذرف الدمع السخين على قتلى رفح وهناك في جنين
سعاد الحاضرة على خاصرة الغضنفر الداجن المتثائب
تجيل الفكر بين رداءة مجاورة وعقل يحار
صاحت بملء الهواء المحتبس في الرئتين وانتظار البريق
سقطت قذيفة على مسجد بلال
والعربي الداجن يرقص
وسقطت قذائف على تجمع لمتظاهرين
والعربي المخدر يرقص
وسقطت قذائف على النيام الآمنين
والعربي المخدر يترنم
وتنهمر قنابل فوق البيوت وفي أحضان الشجر
يحدث ذلك الليلة وكل ليلة ، يا أيها السادة المشاهدين
يحدث ذلك في رفح وفي فلسطين
ولا حياة لمن تنادي و لاروح ولا أنين
ومازال (الزق) العربي المخدر يهيم في ما يشين
ويكرع ما تبقى من كأس ثميل
مازال يرقّص كتفيه ، ويشيح بيده اليسرى
يصرخ العربي الكسيح عاليا...
لعله استيقظ ، أم اتعظ؟؟ أم لعل فيه شيء من نخوة أو حنين؟!
موتوا ما شئتم وما أشاء يكون
بين أطلال النهايات ورغبة الجنون
مالي ولكم ومالي وأنتم وما تعبدون !
هي تأسف وهم يأسفون !
على عربي كان ذات يوم بنجدة ذوي القربى مسكون.

إلى بالغ الحرية في سجن شطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ ياسر أبوبكر

شقيقي

سجن شطة–فلسطين

بعد السلام

الزمن ينقضي ونحن غارقون في وعاء كبير يحتوينا، شئنا أم أبينا ، علمنا أم جهلنا. ولا يتحدد حجم ومساحة هذا الوعاء بأبعاده الفيزيائية وإنما بأبعاده العقلية التي يرسمها أنا وأنت وكل شخص لنفسه . فكثير ممن يعيشون في رحابة الدنيا، وما فيها... مسجونون في صندوق أفكارهم وذكرياتهم وآرائهم ،غير منفتحين وغير مرنين وغير مكافحين ، بل مقيدين بسلاسل غير مرئية قيدوا أنفسهم بها أشد فتكا من سلاسل الحديد وقيود الزنازين.

والمهم أننا في هذا الوعاء الذي يحوينا (الدنيا) أن نكون قادرين على توسيع مساحة أفكارنا وآرائنا وأحلامنا وأهدافنا ، وهي ما لا يستطيع أحد أن يمتلكه غير الشخص نفسه، ولا يستطيع أحد أن يشاركنا فيه إلا بإرادتنا لأن البعد الرابع في الوعاء وهو الذات الممتلكة للزمن والفكر، هذه الذات ملك خاص لنا لا يشاطرنا به أحد.

إن المقومات الثلاثة لتوسيع مساحة الأمل فينا والحلم فينا ومساحة الرؤيا وفضاء الفكر يعتمد على الإيمان الذي يزلزل الكيان ويقلب الموازين ويوسع المساحة أولا، ويعتمد على الإرادة التي لا تسلب ما كان الإيمان مطمئنا ثانيا، والتي تجر الشخص بالصبر إلى نور العقل وفضاء النفس فوق السحاب ثالثا.

لا أحد يستطيع أن يشاطرنا رغبتنا في التفكر وإعمال العقل وما فيه من جهد يؤدي إلى نتيجة، ولا أحد يستطيع أن يقيّد فينا ضرورة أن ننمّي فينا أبعاد التأمل الذاتي.

لذلك أشير عليك والأخوة جميعا أن لا يكلوا عقولهم إلى الآخرين فتسلب ، ولا إلى الذكريات فتصدأ، ولا إلى الحفير فتخبو. وألا يسمحوا لأي ظرف أن يمنع عقولهم من التحليق في أفاق الفكر إمتاعا وإبداعا وتلخيصا وتحديدا وتنبها وحلا لمشكلة واستثمارا للوقت واستنهاضا لحاسة أو قدرة رياضية أو استنتاجية أو استنباطية أو غيرها عبر الوسائل التي تبدعونها أفرادا أو جماعات ثنائيا أو في حلقات.

أما ثانيا فإن التأمل راحة والتأمل إصغاء ذاتي والتأمل تفريغ للدماغ من سيل وتراكم، وإبعاد للمخزون المتكاثف عن التأثير في القدرات. والتأمل كراحة عقلية نفسية ضروري لإبعاد الهواجس والهموم والقلق والكآبة والدمار، والأفكار المتسلطة – خاصة السلبية منها والتي قد لا يستطيع الإنسان دفعها في هذا الوعاء الكبير أوضمن الأوعية الأصغر – تعد عملية مثمرة وقدرة وهابة لا غنى عنها للنفس.

وللقيام بالشكل الأبسط للتأمل هذا (والذي قد تكون الصلاة أيضا أحد أبرز أشكاله) استرخِ ما أمكن بعيدا عن الأصوات وفي وضعية غير متوترة، ولا بأس أن تكون جالسا (متربعا)، مغمض العينين مرهف الحواس منقطعا عن المحيط، واعمد على جعل ذهنك لوحة بيضاء، شاشة بيضاء باستبعاد فيض الأفكار التي قد تجيء زرافات أو وحدانا متسللة أو مندسّة. والتي قد تجد في الاستجابة لها ضرورة ولكن لا، أبعدها، فالوقت الآن مخصص للاسترخاء والتأمل.

اجعل ذهنك لوحة بيضاء دون أدنى فكرة أو حالة تذكر ، ما قد يكون صعبا في البداية ولكن بالإصرار الشديد والعزيمة ستتبيّض الشاشة وتسترخي الحواس

وتطرد كل ما يطرأ على الذهن من أفكار والتي كلما قدمت أخبِرها أن وقتها لم يحن فهو بعد ساعتين أو في الغد مثلا وستستجيب لك عاجلا أم آجلا.

بعد أن تمتلك اللوحة البيضاء قم باستدعاء الصور التي ترغب بها وافردها على اللوحة من البحر أو الشاطيء وتفاصيله ودقائقه إلى الزهرة بتفاصيلها إلى السماء إلى المرج إلى الصحراء.

وما قد يجعلك منتشيا لا متوترا أو مفكرا، تبحر في التفاصيل صورة تقترب وصورة تقترب وصور تتوالى. إن التأمل قد يأخذ منحى إيماني فتصفو النفس وتتصل بالذات الإلهية فتعبر عن المحبة والشكر و الثناء على الآلاء والآيات.

سلامي والعائلة لك ولجميع الأخوة طرفكم فردا فردا وجماعات، والفجر يكاد يطل برأسه فلا إظلام دائم و إلا فسد الكون. ولا مقدرة لأي كان أن يسلب مني أو منك أو منا مساحة التدفق والفوز في نفوسنا وعقولنا الحرة.

أرواح

الروح التعبة:

روح تعبة قلقة منخورة، حيث السماء مطر منهمر والسحاب رأس أفعى والقمر جرح نازف والطوفان قادم بين الأرجل وتحت السطور، والنساء شر مستطير والناس في كرب وبؤس غير منقطع.

روح نازفة حيث المحاجر دامعة والرؤوس مظلمة والذاكرة متخنة والوداع كل حقيقة ولا حقيقة إلا السواد في رأس كل مطية أو جبل أو واد .

روح مقهورة مهدورة بلا أصابع أو حنايا بلا شطئان أو أبراج ، بلا هوى أوعشق أو لمسات حانية

روح بلا قادم أو أحلام أو معقول أو معجون أو سمير ، روح تندب وتهرب من البحر وتتكمش من مرآى الوجود، وتهوي ولا تستريح.

الروح الهادئة:

روح مستريحة مسترخية ، في السماء حب وعفو ، وفي الأرض شِعر رطب وهواء عليل ، عيون كحيلة وقدود ملفوفة ، وثغر باسم ونغمات في كل صوت وعافية بلا مرض أو خدوش ، والبكاء ضحك وغناء حيث الأمواج تلتحم بنسمات العبير بين الأنوف وأعطاف الصبايا.

روح لذيذة حيث الممجوج قابل للاحتضان والمرفوض متقبل والمأفون محبب والنابت نضج مكتمل والسعادة خان للكل وخبز الناس.

الروح القلقة:

روح متشظية ، تستلقي على شطئان النفس وبين أقدام العقل وحيث الشراب يدير الرؤوس ، وتتنقل من فضاءات الريح وجروح الفؤاد وفتات الأمل وشظايا الأحلام أو دفقات المأمول أو المتوقع ، القادم أو المدفون.

الروح القلقة روح منهكة ، مترددة ، ترتدي زيين اثنين وثلاثة وربما أكثر ، قمم من السعادة وقيعان من الألم تتجاور وتتحاور وتتلاقى وتصنع مزيجا ونسيجا وختان للنوح ورباط للعبرة وقدح للحب واسترقاق للعيون، وانفجار للمدامع تبكي وتضحك ، تنتهك الرزانة وتقتل التعقل ، تسعى للكثير وتأمل في الجود والخوف والحرير .

روح متشظّية حيث الشقوق تكبر وتصغر، وروح نافرة بارزة عالية تستلقي بين حريق الفؤاد وبستان الياسمين، تقطف من الأثمار ما لذ وأوجع ، ما هز الكثير وبعث الكثير وطال المقموع والمستحيل ، المرجو والمأمول.

روح تطير بلا أجنحة وتحلق بتعب وسرج مطهم وبطن ضامر وعيون آسرة، تحيط بالكثير وتمد مساحة تقبل القاتل والضحايا وتعطي الرخيم والفتاك كما تعطي النجوى والأمل.

روح بلا مكان، بلا قرب، بلا يقظة، بلا اجتماع دائم وبلا رقيق الكلام في معازف القلب كالأسير في أخدود بلا حد ولا مصاطب.

غمّسوا بدمي حجارة مستقبلهم.

نسيج مهدى إلى أصدقائي الذين سافروا وأقاموا في البعيد، ولأولئك المقيمين في البعيد، والى الذين غيّبهم المعتقل إلى حين، والى الذين رحلوا عن هذا العالم بشهادة أو بدونها حيث المستقر.

(1) مسلول البدن مجزوء الفؤاد ندي القلب
نادب الحظ معتم العقل راكع الفكر
حزين العين معتل العبرات ضعيف الأجفان
تركوني
كرمة عليلة وبئر فارغة ووردة كسيرة
غزالة شاردة وألم عظيم وراية حسيرة
لصحراء فلاة وخيمة بلا سقف ودنيا أسيرة
تركوني
خفيف النهى
رفيف الهوى
كثير الجوى
تركوني

(2) شاهد على عصر الرجوع
معاصر لدنيا الركوع
مرتبك النفس والأنفاس والبتلات
تركوني

أعاني السكرات والحيرة والربكة والسقوط
وأقارع الخطوب والصديد وصدى الآهات والمساحات البيضاء والهبوط
وأمسي دون أمل في اللقيا وكثير من الحسرات والندم وتخنقني العبرات
ذهبوا وغابوا وتركوني

(3) أتلمس في الذاكرة دنياهم وضحكاتنا وملاعبنا وفلسفاتنا والصهيل
وأرسم من سلّم رموشهم وابتساماتنا وطرائفنا ومعاركنا وشما ظليلا
وأكتب بهم نهر الفرحة المفقود وعامر الحقائق وقلب القلب وباسق النخيل
وأرجم شياطينهم حيث ابتعدوا بعيدا، وغابوا طويلا بلا نظرات
وتركوني

(4) دنيا الخراب بعدهم أحاطت بي من كل صوب
وعشيرة الرماة سددت في صدري كل الرماح
وموائد الفتنة أحاطت بي من كل جنب
وقعدت على باب محبتهم أرجو الصفح والهمسات
ولكنهم ذهبوا بعيدا وتركوني
حفروا على جلد صدري قصيدة الوداع الأخيرة
وغمسّوا بدمي حجارة مستقبلهم
وسملوا عينيّ وقطّعوا مني الأرجل واليدين
أين تركوني.

(5) نصف الدنيا تبخرت
والقمر من خلفهم جرجر الشقاء
والزاد عقبهم نفذ والطريق مازال طويلا
غابوا وتركوني
كأنني حمل ثقيل
أو يمامة متمردة
أو لوح ثلج قلق
أو آنية مكسورة
أو هواء لقلب فاسد
أو ندبة
أو خطيئة

(6) كانت الدنيا إصباحات تعج بالأنوار
عندما كانوا وكنا
وتكتب بيديها سفرا بلا حدود
وتجمع النغمات من حديقة اللقيا
وتلقي بالسهاد والتغضن والأسى
وتبرق بالضوء الكريم
وتفتح قلبها لهتافنا والتهافت
وكانت الدنيا جمالا بلا نسب
وفتحا للمستغلق والنوّار
وبهم تراجع العجاج وومضت الأرواح
وابتدعت الشمس طقس الشروق
لكنهم قذفوا بي للخلف
وتركوني

(7) أتوجع وفي الحلق مجموعة غصة
وأبكي حتى حد الاختناق...وحيدا
وأركع لأدعو دون مجيب
والله رجائي والله معتصمي
فيهم الدنيا ركبت السماء
وفيهم القرنفل ترك الغفوة وضحك
وفي بيتهم كان القمر يستريح ويأنس
وفي رحاب الأرواح كنا نجتمع
يحف بنا السرور والجذوة
حيث لا عوائق ولا سدود
وعند التلة العظيمة أداروا الظهر سريعا
وسافروا، غابوا، وتركوني

(8) مالكم أيها المسافرون؟!
هل من مشاعري وحبي لكم تهزأون!
عجبت فيكم الرحيل والسكون!
وعجبت منكم كيف هناك تعيشون!
سأترككم
وسأظل فيكم وعنكم.... وبدونكم.... بلا سقوف
أغني
وأندب
وأنتحب
وأتذكر
وأحلم

وأكتب

وأجيل النظر

وأتأمل

وأتمنى

وأضحك

وأتلو

وأقفز

حتى يدركنى القضاء أو حد الجنون.

ياسر عرفات حين يلقى عصاه!

قبل العشرين من عمره شهد النكبة فأحدثت في قلبه جرحاً نازفاً وألماً طالما استعاده في سنيّ عمره ومراحل حياته المتقدمة، انطلق للدراسة الجامعية ليعوض جزأ من الإحساس بالفقد والحزن فكانت كلية الهندسة حاضنة لفكر متقد، لثوري لا يهدأ، كثير النشاط غير قليل الحركة. لقد أحدثت نكبة 1948 تطورا في شخصيته فجعلت من الرجل الذي فكر لبرهة أن يهاجر للولايات المتحدة الأمريكية- كما تذكر بعض المصادر- جعلت منه يسخّر قدرته غير المحددة على الحركة الدؤوبة في صالح قضية لبسها في عنقه أعواماً فاقت الخمسين.

لا يستطيعون إدارة الظهر له

عندما يصفه معاصروه أو أترابه لا يستطيعون أن يديروا ظهورهم له، ولا يستطيعون إلا أن ينصتوا له. ينبهرون بقدرته الفائقة على الحركة والتنقل والفعل ، وينبهرون بشخصيته القيادية الجاذبة، واستقلاليته حتى كان التنظيم الذي ساهم في تأسيسه لا يشكل حزباً أو جبهة أو تجمعاً بل حركة تتماشى مع ما وصف به، فهو حركة والتنظيم الذي أنطقه وأخرجه من الظلمات إلى النور أصبح حركة مشمسة تلقى بأشعتها على الشعب اللاجئ، وعلى حركة الثورة العربية وعلى الثورة العالمية.

قبل أن يصل الثلاثين من العمر كان قد برز قائداً مهاباً، يحسب له كل حساب فلم تكن تجربته في حرب القنال كمقاتل و كضابط إلا ادخار في محصلة قدراته القابلة للتطور، ولم تكن تجربته السياسية النقابية في جامعة القاهرة إلا "بروفة" لقيادة أعمق وأشمل واكبر سرعان ما يصلها قبل الأربعين من عمره.

لقد صنع التشرد من ياسر عرفات شخصية صلبة لا تعرف التراجع أو التردد بل تصنع الحدث، وتقبل التحدي. يضع الولولة والدموع والبكاء والندب خلف ظهره ويرسم البسمة والأمل والطموح مقترناً بآليات النضال، والفعل المتراكم في نطاق السير على الشوك وبين الألغام وبشكل متعرج ما دام الهدف واضحاً، والوصول إليه لا يتم إلا في عمليات عبور متتالية لحقول متفجرة.

صلابة الوطني النهضوي

كان ذو صلابة استمدت من رحم النكبة وكرست بالفعل الثوري والعسكري عبر سيناء وفي حرب القنال،واقترنت بفهم العلاقة التكاملية بين الصلابة المطلوبة والمرونة المرغوبة وفق الشخوص والأدوار والزمن والمؤثرات المختلفة، حيث كان لترؤسه رابطة الطلبة الفلسطينيين في جامعة القاهرة أن جمع شتات الفلسطينيين المتوزعين بين التيارات القومية والإسلامية حينها بمرونة التفهم لتعددية الأفكار، ورغبات التعبير عن حب الوطن والسعي لتحريره بالارتباط المباشر بالقومي أو الاسلامي.

فكان مايحسب له أنه بلور الوعي الوطني المستقل، وإن كان عمقه عربي إسلامي وبعده عالمي ما شكل بداية في فكر الرجل الوطني النهضوي مع زملائه من مؤسسي الوطنية الفلسطينية وأصحاب تميز الشخصية الفلسطينية أو الهوية التي رغبت زعامات عربية كثيرة في إذابتها وإنهائها سعياً لاستيعاب الوجود الإسرائيلي في المنطقة على حساب الفلسطينيين.

ياسر عرفات ذو القدرات والإمكانيات المتفوقة خاض الحروب على جبهات القتال، كما خاضها على جبهات السلام فكان يحمل البندقية بيد وغصن الزيتون بيد كما قال بنفسه في خطابة الشهير في الأمم المتحدة عام 1974. و ما كان بذلك متناقضاً بقدر ما كان يحاول ان يتفهم المرحلة أو اللحظة ويضع لها مقاييس ورؤى تتفق ومعادلات القوة ومعسكرات الأعداء والأصدقاء ومساحات الحركة المتاحة

وموازين القوى في منطقة تفجر عالمية هي فلسطين، وما أطلق عليها لاحقاً الشرق الأوسط.

اوراق وغبار

في سن العقل كان ياسر عرفات يعقد التحالفات ويمد جسور التعاون مع الأصدقاء والأشقاء. يستخدم ما يمتلك من أوراق قابلة للكشف أو المساومة أو الحرق وفقاً لرؤية ما حاد عنها انطلقت من رغبته برؤية دولة فلسطينية مستقلة بالقدس عاصمتها وعودة اللاجئين ، ما رفض عكسه حينما ضغط عليه أمريكيا وعالمياً عام 2000 في كامب ديفد الثانية فحاصروه إلى حد القتل في المقاطعة في رام الله.

شخصية متميزة، عالمية، مثيرة للجدل، مثيرة للحركة، مثيرة للغبار من حول مجمل تحركاتها، يستخدم بالونات الاختبار في طروحاته السياسية، ويستشف مدى التقبل في عقل زملائه وفي وعي الشعب الذي انتخبه منذ أصبح ناطقا باسم فتح، ثم رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1969 ثم رئيساً للسلطة الوطنية الفلسطينية عام 1994 بانتخابات حرة وديمقراطية وبرقابة عالمية.

يستخدم نظرته الثاقبة وقدرته السياسية الفذة ،صلابة ومرونة، استراتيجية وتكتيكا بأساليب التمرير للفكرة أو الآراء عبر الآخرين، كما يستخدم الضغط . بنفس الوقت الذي اتخذ في كثير من الأحيان من العاطفة أو العقل أو المال أو التبرير أو التطويع أو التضخيم أو التهوين أو المناخ طرقا تجعل من رؤيته بضرورة الحصول على القرار الذي يراه صحيحا مقدمة لاستخدام أي من الوسائل و الأطر تلك التي أجاد استخدامها متقابلة في حركة فتح وفي منظمة التحرير الفلسطينية، وفي القيادة الفلسطينية وفي المجلس الوطني الفلسطيني ثم لاحقاً في المجلس التشريعي الفلسطيني.

مرجعية القلم الأحمر

لقد شكل ياسر عرفات المرجعية الواحدة، واللاعب الأول، والرمز، والأب الروحي، والضابط للإيقاع الفلسطيني فلم يسمح لخيط من الخيوط أن يفلت من بين يديه، فكان منهم من رأى بذلك ضرورة في ظل ديمقراطية غابة البنادق، ومنهم من رأى مركزية شديدة أو دكتاتورية ضارة أو استبدادا خاصة على الصعيد الداخلي. إن الرئيس ياسرعرفات القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية لم يرضَ أن يترك القلم الأحمر من بين اصبعيه فالقرار يمر عبر اللون، والتوجه والتحكم والضبط لمنظمات متعددة وآراء متباينة في قضية معقدة يجب أن يمر عبر توقيع ممهور على جميع أنواع الورق.

أحبه الكثيرون في العالم، فلقد برز كالطود الشامخ بعد حرب الكرامة وظهر بالعنفوان كطائر الفينيق في حصار بيروت، وكان بطل فلسطين ورمزها في مقاومة الغزو الصهيوني للبنان، واعترف به العالم كرجل سلام حينما تسلم جائزة نوبل بعد أن أقدم على خطوة مثيرة للجدل فلسطينياً ولكنها شجاعة بتوقيعه على اتفاقات اوسلو وذلك في واشنطن عام 1994، لقد كان يغرس بيديه لواء فلسطين على سماء العالم ويصنع الغد القادم، غدا أفضل.

أحبه الفلسطينيون

أحبه الشعب الفلسطيني، حيث قاوم الاحتلال بشخصه اثر احتلال الضفة وغزة عام 1967، وحينما قاوم محاولات شطب الشعب الفلسطيني والكيانية الوطنية، والاستقلالية للقرار الوطني الفلسطيني المستقل في الأعوام 1971و1983، وما بعد الانتفاضة الأولى وثم الثانية.

لقد شكل الرجل ضمانة واعية للأهداف الوطنية الفلسطينية وكما ظهر جلياً في مواقع القتال السياسي صلابة دون مرونة، وتمسك دون تهاون، وهيجان للتاريخ مقابل مستقبل أريد له منه أن يكون مدمراً فلم يقبله، فتحدى القوة العظمى الأولى في

العالم لصالح شعبه فكسب شعبه، وكسب نفسه، وخسر الإسرائيليين والأعداء الآخرين.

لقد نظر إليه الشعب الفلسطيني قائدا ورمزا حيا وزعيما تاريخيا لا يمكن تعويضه. كما نظر الفرنسيون إلى ديغول، والهنود إلى المهاتما غاندي و مواطنو جنوب إفريقيا إلى مانديلا

حيث ألقى الزعماء عصيهم

كرهه البعض الذين كان منهم قيادات العدو الصهيوني فقالوا فيه الكثير، قالوا انه الإرهابي الأول وقالوا انه القاتل المأجور وقالوا انه المخرب، وقالوا انه ضد السلام وليس ذو صلة.

وقالوا انه المرفوض التعامل معه حتى بعد عودته للوطن، وقالوا انه المحرض للمقاومة (الإرهاب بمصطلحهم) والداعم لكتائب شهداء الأقصى استكمالاً لدوره في إنشاء قوات العاصفة منذ العام 1959 ثم 1965، ثم في دعمه للإرهاب الدولي عبر" أيلول الأسود" والعمليات الخارجية ما رفضه وأدانه شخصياً وتنظيمياً ومؤسساتيا.

لقد قال الإسرائيليون في ياسر عرفات –وخاصة اليمين المتطرف مؤخرا– الكثير مما جعله والشيطان واحدا، وهذا متوقع من عدو، رغم أن الكثير من الإسرائيليين في الاتجاه الآخر فهموه رجلاً يمد يده للسلام. ولكن ليس أي سلام وإنما سلام الشجعان، السلام العادل المحقق للأهداف. كرهه عدد من الزعماء العرب لأنه كشفهم بعطائه وعمله وحركته وثوريته وقدرته على التنقل بين المراحل والمساحات والمواقف ما يتيح للقضية أن تراكم الانتصارات الجزئية وصولا لأن يبصر عرفات القدس عاصمة لفلسطين ليصلي فيها أو يدفن فيها وليرفع طفل علم فلسطين فوق أسوار ومآذن وكنائس القدس..

كرهه الزعماء العرب–عدد منهم– لأنهم القوا بعصيّهم لتلتقفها عصا عرفات فيخرّ السحرة ساجدين لفرعون مكذبين بموسى فلسطين. فيحاربونه محملينه سبب

حروبهم أو الاقتتال أو العمالة في الأردن أو لبنان أو سورية أو العراق أو الكويت أو ليبيا أو غيرها، فيكون هو اليهودي والمتآمر ومجهول النسب وغيرها من الاتهامات المضحكة والفاقعة.

الوسط حيث ملعب الرئيس

كرهه العربان قيادات منعزلة عن شعوبها ، أو (راشية) لهم بالمال أو بالتهديد بالسجن والعصا أو بالضغط الجسدي والنفسي ، حيث أمن البلد قبل الجميع والسلطان أولا، وابن الرئيس يخلف أباه في جمهوريات أو ممالك أو إمارات دون ديمقراطية ، هي قائمة في فلسطين وأزعجت الكثيرحتى يوم وصوله إلى مستشفى بيرسي قرب باريس في فرنسا عام 2004 . وانضم لعربة الكارهين مجموعة من المنزعجين من توقف الموازنات عنهم، أو من استخدموا مرحلة ثم انتهى دورهم.

أو ممن لم يفهموه جيداً، أو ممن انتقدوه فلم يستمع لهم، أو ممن كانوا بالدعم الخارجي يسيرون. وما كرهه الناقدين أو المعارضين أو المخالفين ولكنهم تمسكوا بنقدهم له ومعارضتهم لكثير من قراراته وأوامره وتوجهاته أو آراءه، وخالفوه في طريقتة الأبوية في إدارته للثورة ثم للمنظمة ثم للسلطة، فقرب عددا من الفاسدين، وغطى على عدد من المسيئين، وسكت عن بعض العصاة والجبابرة.....

هؤلاء الناقدون والمعارضون والمخالفون شكلوا النصف الثاني الهام للديمقراطية الفلسطينية التي لا يمكن أن تكتمل إلا بالرأي والرأي الآخر وهؤلاء كانوا مع ياسرعرفات في مواقف كثيرة تشهد لهم وتشهد له، وفي آخرها حينما رفض كامب ديفد فحوصر ،وحينما تقرر القضاء عليه فوقف جميع المعارضين والناقدين والمخالفين من اليسار واليمين وقفوا في الوسط حيث ملعب الرئيس ياسر عرفات.

عصارة فكره وعمله

أحبار كثيرة سالت تكتب عن ياسر عرفات، وأحبار كثيرة ستسيل كتابة عنه مدحا أو شتماً، انبهارا أو مخالفة، إنصافا أو تجنيا... وفي بعض ذلك قد يكون بعض الحق فالرجل ليس ملاكاً ولا نبيا، وإنما يظل إنسانا يصيب ويخطيء تتجاذبه الأفكار والتيارات والأهواء، ويظل قائداً متميزاً وكاريزمياً يسعى جهد فكره وعمله للتأسي بصلاح الدين فيحرر القدس أو يرسم مسارا –في ظل فهم المتغيرات– تؤسس لذلك بعد الرحيل.

لقاءاته الأخيرة قبل باريس كان يحاول فيها أن يضع عصارة فكره وحكمته وآرائه وطرق عمله وسياساته في ذهن من قابلوه من الأطر ومن الطلاب ومن الشبيبة ومن النساء ومن أبناء الوطن عامة أو العرب أو الأجانب. لقد كانت الإشارات منه دلالات، وتكرار المواقف منه مسارات رغب بمن سيلحقه أن يتبعها فكان مع ملايين العرب(على القدس رايحين شهداء بالملايين) فلم تظهر الملايين وألغيت الرحلة

وكان يعدد من سرقوا أموال الفلسطينيين من زعماء العرب –ولم يرجعوها حتى الآن– ويسميهم بالاسم والحدث، وكان لا يتهيب من ذكر مواقفهم المتواطئة والمذلة تجاه شعوبهم والأمة. وألمح وأشار لأساليب قيادته في الاستبعاد والاكتساب وتفريق المعسكرات وتشكيل التحالفات وبعث المخبوء في النفوس، والتعامل مع المكشوف والمخفي، والربط الواضح في عقله بين استخدام الأدوات والزمن والمرحلة، ولكل زمن فهم مرتبط بعوامل التغيير في الواقع.

هل نكون قد فهمنا شخصية قيادية فذة ومربكة في آن معاً كشخصية ياسر عرفات، أم يكون للمستقبل أن يتعامل معها باستعادة للماضي فيراها في سياق المستقبل.

تونس والثلاثة (بيبان)!

دخلنا تونس وفي القلب خفقات وفي العيون احتباس ماطر . كيف لا ونحن من بلد الأنين الصاخب والفداء الحفيف، قادمون مجموعة من إطارات (بالتعبير التونسي لمصطلح أطر عندنا) حركة فتح من الوطن ومن رام الله بالتحديد حيث أنشأنا الملتقى الفتحاوي على الأرض . انطلقت المسيرة في ظل معاناة لم تنقطع، في لحظات الترقب والواقع المرير، وفي لحظات الحركة في المسار الصعب من رام الله الى جسرالكرامة/الملك حسين/ اللنبي.

عانى الوفد كما هي العادة لدى الفلسطينيين حيث تم توقيف بعض الأخوة لساعات وتم إلقاء القبض على آخر، وسمح للباقي بالخروج من الشرنقة ليلحقهم بعدها الآخرون ليقابلوا بصعوبات لا تقل ومعاناة لدى الأخ والحبيب حللناها بالعشق الناجز في قلوب الفلسطينيين لكل ما هو عربي رغم دعوات الغضب عليهم في كل ملمة وجفوة أو مذبحة لا يعاني منها الا الرواسي من أبناء فلسطين في أرض الرباط.

بحمد الله وصل الأخوة الثلاثة عشر دون الرابع عشر الى تونس وهم بجلّهم يدخلون لأول مرة الاخضرار في عمق تربة تونس، والاحمرار في زهور العاصمة الأولى للفاطميين وبلد رابعة الثلاثة القيروان(الثلاثة هي مكة والمدينة والقدس) . وصل الوفد الى تونس حيث قرطاج مازالت ترفع رايتها و تلقي بالعظمة والوهج والنور والوله في وجوه القادمين من بشر السماء و من زجاج المطار . استقبل الأخوة تونس بفرحة لم تنقطع طوال الأيام السبعة وبدفء الحبيب ومحبة الاخ والشقيق.

ولما كانت مدينة رادس التي لا تبعد عن تونس العاصمة عشرة كيلومترات مقرّنا حيث مركز تكوين المكونين وهندسة التكوين (أي إعداد المدربين بمصطلحنا

المشرقي) فلقد ألقى الأخوة بأعباء السفر جانبا وتماهوا مع غابة رادس ومع شطآنها فلم يعد لأحد قدرة على التفرقة بينهم وبين سكان المدينة وأرضها وهوائها وبحرها وشجرها وفرحها وتبرجها.

دخلنا تونس من بوابة أبو القاسم الشابي والطاهر الحداد والثعالبي وخير الدين التونسي والحبيب بورقيبة، ودخلناها من أبواب ثلاثة –وللمصادفة وجد في مدينة القيروان الساحرة مسجد هو مسجد الثلاثة بيبان (أبواب)– الباب الأول هو باب المحبة حيث قيم وسلوك الالتزام والتضحية والانتماء والولاء قيم أصيلة ثابتة تشع من العيون وتبرز من القلوب، ودخلنا من الباب الثاني أيضا وهو باب التنمية والبناء للفرد والجماعة والمجتمع والتكوين حيث تونس أضحت ورشة عمل لتصعيد الفرد الى درجة التحدى وتحقيق المثابرة ودعم الطموح شعار تونس أبو القاسم الشابي الذي عانقه شوق الحياة فلم يقبل الموت بين الحفر.

ومن الباب الثالث دخلنا الى التقدم والتحول والتطوير والتغيير والإبداع في سنة محمودة أدخلت تونس في القرن الواحد والعشرين من أوسع أبوابه في الإطارات والنظام والهياكل والآليات واللجان والتكوين والمعلوماتية والفكر ونداء التمكن من النهوض وربطه بعقلية التفتح والمرونة والتسامح.

من الثلاثة بيبان دخلنا الى فناء التغيير والتحول والثورة الشبابية في تونس ولم نعجب!

كنت قد أقمت في تونس لسنوات سبع سمان وعدت منها للوطن، وفي كل مرة أعود لأعبر عن عدم التوبة في عشق تونس –كما يقول (الشاعر هنا) صخر حبش– أرى ملامح التجدد والتطور ما يجعل الفلسطيني يطيل الفرح ويطيل إجالة النظر فرِحا فرَحا غير منقطع لتونس السماء والأرض والشعب ، ومغموما بما لا يوصف من غم على بلده(فلسطين) التي كلما تقدم فيها المناضلون خطوة أعاد الاحتلال سنتة المرذولة فيها فيعيد البلاد والشجر والحجر والعباد الى الخلف سنوات.

الكثير من الهوى والهدير مما يختلج في القلب والنفس حينما نرى رجالات ونساء التحرير في تونس ونابل والحمامات والمنستير وبنزرت والقيروان حيث ذهبنا والتقينا، حيث لدينا الكثير مما قد نكتبه مما اختزنا بين الجوانح عن الجولة الجميلة التي جلنا فيها في بعض أرجاء تونس يحتاج منا لإدراج مجالات الاستفادة في خبزنا اليومي وعيون الفلسطينيين وأبناء حركة فتح ما يحيل الصراع الى تعاون والاختلاف الى مدخل التفهم والتعددية الى فضاء تسامح وتقبل .

لتونس دوما رجوع ولتونس دوما عودة وامام الشموخ والعنفوان والمحبة والاحتضان الرفيع لا بد من تحية كبيرة وكثير من الخشوع.

مقيدة جلست...هناك!

مقيدة جلست، هناك
على الكرسي القصيّ
تحمل أفكارا متضاغطة و بضع هواجس
من واقع نبضات القلب الوردية
ومن أصيل شحنات الروح المتدافعة.
مقيدة جلست تهمس في ذات ذاتها
وترسم ابتسامة غائرة
بعيون مغادرة

(2)
بانت في سطح السماء كالبرق
واستقرت في عمق الكلام مرآة للخاطر
وجلست أمامي لتقول بملء الفم:لا!
حاورتها دون كلام
وصاغت معي اتفاقا هامسا دون حروف
وأنا أتساءل.

(3)
كانت في كرسيها،هناك
تفترش السطور

وتتأني متخيرة أرطب الكلمات
تحاول التحرر من مساحة مقيدة
وزلازل مسيّجة
وضوابط محددة
وجراحات لا تفوت لبيب

(4)
دخلت من الباب بكثير من التردد
وأملت بالخروج وكأن لا دخول
وتكلمت عبر الرجاء أكثر من الأمل
وقالت بالقليل من القول الكثير

(5)
تمرق ببصرها بصمت كالسهم
توزعه بيني وبين أصدقاء ذوي ظُلُل
جلست ونظرت وألمحت وقالت:
أخرجني من هذا الفضاء الصعب
وأقعدني حيث اتفقنا والنمير

(6)
قالت :لا، للسجن بين جدران العيون
وقالت:لا، وربي مع سواك لا أكون
وقالت:مالي وهم، ويجمعنا حلو الحلم

ثم قالت: خذني بعيدا
والأغاني في ركابنا تسير

(7)
ماهذا السر الكبير وراء تلك الأجفان ؟
وما هذه الأفكار الخافتة؟
الأفكار الخائفة الساكنة
العصية على الظهور؟
لماذا كل هذا التحفز؟
ولماذا كل هذا الدخان؟

(8)
أأملت أن تصوغ معي اتفاقا دون مِهاد؟
أن نكون في الفكرة والأفكار ملحاحة
أو أن نصون الوصل وفي العيون هدير
أم نسبح في فضاء الكون والكَلِم دون أصفاد

(9)
فكي قيودك وانثري الأفكار
حفّزي التحفز وابعدي الدخان
اتركي لاءاتك واعتمري النهار
فكي قيودك، وانثري الأسرار.

(10)

مقيدة جلست والحرير يغفو
بين أرائك العيون وصدر البتلات
هائمة قعدت،هناك، في أنفاس الورد
تفكر مشدوهة، وتزفر بصوت عليل
بين آلام المسير وفرحة الوصول
بين رغبة التخالل، أو نزح العبير
هل أجابت عن تساؤلاتي أم بالطرف أنابت؟

أتنفسها وتتخلّلني!

عندما تطل أمي في فجر يومي
من شفق الجفون الوادعة
وتلقي عليّ بظلها كزيتونة راسخة
ينتثر في رحاب قدومها عبير
يتناثر فوق جبيني و المكان .
وعندما تمتد يدها المتعبة اللطيفة
لتداعب خصلة أو اثنتين من شعري المنسدل
تفيض عليّ بسيل لا ينقطع من حنان
يظهر باحتضان عيونها لي، ومهابة الإيمان.
ومع حلول الليل تكون أمي نجميَ الوحيد ،
والطيف المنتظر حين الغروب
فأغمض عينيّ بسرعة على طيفها
كي ترافق أحلامي في الشمال وفي الجنوب.
عمري وزمن قادم وكثير من الكلمات
وما لا ينقطع منها في الآتي والذكريات
ترافقني ، تهزني ، تكهربني ، تحييني ، معها وفيها
حين الضعف وحال الخوف وزمن الأحزان.
أمي مداد روحي وشهيق صدري
أتنفسها وتتخلّلني في عشق اللحظة والجنان.

صدر السماء الحافية .

مهداة إلى الأخوة ماهر فاخوري و بشار بدوي وحسن الحسن في برلين بانتظار الإشارة .

عندما تدخلها تحسُّ بالوهج ينطلق أنوارا مدوية من سمائها، كما تحس بالارتياح . تشعر بشيء من الغموض الطافي على سطح الماء المغلف بالفضة ، وربما أيضا تتفاجأ بالاتساع والمساحات الكبيرة تبتلعك و تستوعبك من رأسك إلى أخمص القدم ، والأفكار والهواجس التي تتملكك دون انزعاج.

رغم أن الغموض المفضض مدعاة للتوتر والاضطراب والتذبذب ، إلا أن هذا الغموض فيها حافز للاستكشا ف وأداة حاثة على استجلاء ما استتر وإماطة اللثام عما احتجب ، وفي كلّ ذلك راحة . راحة قادمة من ضياء مرتبط برغبة الاستكشاف ، وراحة موصولة بالانتعاش القادم مع نسائم الخريف اللطيفة المحتجبة عن الجنوب ، النسائم التي تخللت أغصان الأشجار

فأسقطت منها ملايين الأوراق الذهبية في رفق ووداعة لترسم لوحة زيتية جميلة أخاذة.... أين ترامت فيها الأشجار حول النهر والشوارع في صفوف باسقة قائمة، كما الجند المسربل يستعرض قوته أمام قصر القيصر في بهاء وإعصار ، وتقف شامخة بأنفة تشخص للبعيد بالكثير من التحدي ، بلا وجل ودون استتار.

عندما تدخلها تود لو تظل تستنشق الهواء منها طويلا دون انقطاع حتى يمتليء قفصك الصدري ورئتيك بالحرير وإشراق النفس ومضاء الخلود، في كل شهقة أو زفرة ، وتتمنى لو أن أيامك تدوم حتى لو كانت مربوطة بذيل ثور يدور في ساقية قروية بعيدة ، ولا تقصر.

تطول ولا تمضي ... .لأنك في الحقيقة تدخل عاصمة الحديد واعتدال الخريف وارتجاف المهج وانفراط خيط عيون القمر ، وحيث الجمال غارق بالفخامة والحفيف . وما أن تطأ قدماك أرضها حتى ترتوي بزقزقة الطيور وتدفق الماء وأنفاس النساء المتبخترات ولفحات الخريف الباردة ، وحتى تتسلل لزوجة الأرض الثرية في مسام قدميك فرجليك فصدرك فرأسك حتى النخاع... كما أرض الختيار .

برلين قمر شرس شارد دقيق النظر حيث لا قعود ولا ملل ، وحصان عفيّ جامح يجرى بلا قيود علّه يدرك الأمنيات وخيوط الأمل ، برلين قبر المسافات ومثوى الهدير، وأرض العنفوان والمُكنة .... وحيث تستطيب القافلة التوقف فما بعدها من مسير.

برلين عهد التوبة عن الليونة والميوعة والركون ، حيث القوة والحديد وما استحدث من أمور وكل جديد . برلين صدر السماء الحافية تمس الأرض بباطن قدميها مسا خفيفا.... وتشغل الخلائق.

عندما تدخل مدينة برلين لا بد أن تؤخذ بانشغالها الدائم وبحركتها وعملها الدؤوب ، كما تؤخذ فيها بالهدوء المنبجس ما بين أعطاف النساء وتحت عيونهن ، وحين يظهر الرجال كالمسامير وحدانا وجماعات ، وفي عيون الأطفال ، وحيث تتكلم الأغصان لغة الحبور ولغة الطيور ولغة الخرير.

في برلين تتسامع القناطر والمتاحف والمعارض والمباني والباحات والنوافير واللوحات والتماثيل والمطاعم والدور والركبان بخبر التوثب القادم مع مساء برلين الملون بذيل الطاووس .... يفرش ألوانه في سماء المدينة وأمام نواظر الراغبين والمحبين والمنهكين . في برلين لا مكان للوقوف أو التراجع أو الذبول فإما مسير أوقبور.

دخلنا برلين من بوابة رام الله حيث ماهر خير الأخ ونعم الصديق .... رجل من رجال الحديد قُدّ من نسيج جبال القدس وعيبال والخليل والجرمق ، وحيث تربع جبل العاصور على أحد أكتاف مدينة رام الله التي قدم عبرها ماهر من نابلس ... جبال وأرض فلسطين بلادي تصنع في الحياة أشياء لا تُصنع مثلها ولا يصنع من غيرها ، وتصنع رجالا قلما تجد أمثالهم خارجها إلا في برلين .... فكيف إذا جمع عبر البوابة (أسدية) الصفات من منبعه الأصيل في فلسطين ، وإشراق النفس حيث هواء برلين الصافي السافر الملون (يرد الروح) كما فتىء يردد ماهر.

يسقط البَرَد الفضي على البشر دون استئذان ولكن بلطف ، كما يسقط على الشجر ولكن بقليل من القسوة فلا تحتمل الأوراق تلك الشدة فتجد طريقها إلى الأرض أسرع وبلطف.... تلثم الأوراق أديم الأرض مستعجلة الرحيل ، وكأن في الترنح بين ذراعي الريح .... بين الأغصان في المسافة الطويلة الممتدة إلى الأرض مودّة معدّة ، وكأن في احتضان الأرض لزُمَر الأوراق الساقطة المنتظمة مودّة مستردة.

تربعت برلين في قلب صديقي فجاورت فيه فلسطين منذ كان طالبا في الجامعة ، فخطا خطواته الأولى نحو ظل المدينة وعيون القمر وزقزقة الطيور وألوان الطاووس . ثم أصبحت بين ضلوعه توثبا ونسائم ومضاء ، وحينما بذر في الأرض ذرية كانت فيهم فلسطين حبل الخلود وبريق الروح والتماع الذاكرة . وكانت برلين منطلق الرجوع ، وآثار أقدام الحقيقة الغامضة في ثلجها الفضي عبر أيام شتائها الطويلة الباردة.

للمدينة في التعبير عن نفسها أسلوب مختلف متغير متميز . فما تجده في مدينة ما قد لا تجده في مدينة أخرى .

وفي المدينة وسائط للعرض والتقرب من الناس قد لا تنافسها فيه غيرها . فمدينة تجذب وأخرى ترجو وثالثة تشمخ ورابعة تنفر القلب وخامسة تبهج النفس وأخرى تشعل النار وأخرى و أخرى.

أما برلين فلها من دون المدن أسلوب فريد في انتزاع الإعجاب من قلوب الأغراب ، ومن أعماق الألباب لا تجاريها فيه غيرها... لأن برلين لا ترجو ولا تتوسل ولا تطلب ولا تهرب.... إنها (تستحوذ) منك عليك، على مكامن الشوق ومنازل العشق ومواطن الوله فتتشبث فيها النفس ببراثن النمر، وعدو الغزال ، وتكاد لا تتركها إلا والذكرى أصبحت مخملية.

عندما طرح ماهر فاخوري رداء الظلمة وغطاء الروح حيث الاحتلال الصهيوني يدمر ويعطب، وجد في برلين قدسية الغموض وحصان التحدي ومركب العودة ونهر المضاء وقيثارة الزمان.

وكانت برلين بين ناظريه طاووس قزح ، وذاك الغموض الفضي الذي يفضي إلى الفعل حافز ماهر وحسن وبشار من هناك إلى هنا إلى فلسطين. مدد الروح يبسط أشواقه على المؤمنين بكنعان في وطنه وحيث أقام أحمد وفي صدور الأبناء .

في برلين لا تنسى ما خلفت وراءك أبدا ، ولكنك تزداد تألقا وتكتسب راحة الاستجلاء واكتشاف ما احتجب ، وتنطلق للفعل دون استئذان . فالمدينة ذات الألوان والطاووس والسماء الفضية لا تحجر ولا تمنع بل تبسط وتسمح وتكشف وتبوح ، وتلهم النفس وتلهب الرغبة وتلح في التقرب وتدعو إلى الانطلاق .... حيث القدس تسمو والنجوم و خميرة الاستمرار .

في برلين كان الحنين إلى رام الله يشتد ، فلقد كانت تنتظر . وفي الإياب استرجاع لقلب مزروع في تراب الوطن .... من الاستحواذ المفضض والسماء الحافية .

خليل الزين صدى الباكين.

في عروق الورق ورائحة الحبر،
كان يظهر باسقا كالنخيل
من بين دروب الموت والحياة واحتلال النفس
ظهر هاطلا كالسلسبيل
في عتبات القهر وعلى شرفات الحب
كان يصحو ويغفو.
في مسارات متصلة فتح فيها أبوابا
وطرق نوافذ وفعل الجليل .
في أكمام الورد وعلى صدر بتلات اللوتس
وحيث الحنين
عند اكتمال الفرق وارتداء الحق
وانتشار النور واحتمال الألم
وحيث ترك الكثيرون تعبهم والتقطه هو...
كان يبني المستحيل .
لا دليل ولا معجم ولا خارطة حمل...
ولكنه توشح القلم وانتصر
حيث النور أطل من فوق كتفيه
وبين السبّابة والإبهام
وتواصل حيث القافلة أرّقته
ولكنه ركبها وكان الدليل.
* * * * * * * *

في تونس حيث التقيته
كان هادرا صارخا صائحا كالسديم
لا يستقر ولا يهدا ولا يستكين
فلاعتناق (الإنسان) فكرا ورأيا وحقوقا... ضريبة
بلون الدم وطعم الطين
وطريقا غير مذلّل بلا رنين
حمل المصاعب والعواصف والذهب
حمل الدجى والحرية
ورفع الإنسان قيمة ،
فلم يتهاون مع انتهاك جماعة أو فرد أو فرقة
وجعل من حياته سجلاّ
للأسرى وسجناء الرأي والمعتقلين
في كل آن وحين.
خليل الزبن *
القلب الفسيح وصوت الرعد في عيون الظُّلام
خليل الزبن
رفيق الفقراء وصدى الباكين وراء القضبان
في عالم العروبة والأنين .
خليل الزبن
رجل الإنسان الإنسان
في كل حين وزمان
اقتلعوا (منّا) (منه) ما حُمِّل قلبه
وعقله واللسان
ولكنه حين ارتقى حيث زميله ميشيل النمّري
خلّف ما لا يدركه القتلة

النهج والنشرة والصدق

وضوء لا يخمد ذو يقين.

* استشهد خليل محمد خليل الزبن في مدينة غزة اغتيالا يوم الثلاثاء 2004/3/2 ، وهو مستشار الرئيس للشؤون الإعلامية وحقوق الإنسان ورئيس تحرير مجلة النشرة المتخصصة في حرية الرأي وحقوق الإنسان. الشهيد من مواليد مدينة حيفا في 1944 /12/21

التحق بالثورة منذ الانطلاقة وشارك في كافة معارك ومفاصل الثورة ، والتحق بإعلام حركة فتح منذ 1968 ،

وكان سكرتير تحرير نشرة فتح في دمشق عام 1971، ثم نائب مدير وكالة (وفا) فنائب مسؤول الإعلام الموحد ثم مدير المكتب الصحفي للرئيس عام 1983 في تونس،ثم مكلفا بملف حقوق الإنسان

وحيث رئس تحرير مجلة النشرة ، وبقي كذلك حيث الدخول للوطن حتى استشهاده.

من صخيب الليل.

من أين يأتي هذا الهدير ؟

في رأسي، في أذني، بين الحنايا، على شرفات البصر
حقل طنين لا يذوب، أو يرتوي، أو يسير
......
مازال يأتي... في صخيب الليل، يرهقني، يبارزني، ويقتلني
كصوت الشمس، ومر الواقع، وقنوات الارتداد
وأردية الضمير
....
لامناص، ولا بد، وكان المسير
مررت على الشواهد، حيث توسد الثرى
عمي... منذ زمن طويل ،
وأبي... منذ سنوات قصيرة

وأخي... منذ برهة (1)
مسافات خاوية، وقلوب مدفونة بالحرير
....
في هدير الزمان، زرعت ثلاث زهرات
ياسمين، وورد، وأقحوان

واستنشقت الفجر ...من رائحة أمي،
على عتبات الفضاء

بوابة الصخب، وصفو النمير

....

ارتج فؤادي...على وقع الهدير

ومشيت...حقل السابقين

دروب خالية،

وقلوب مغلفة بالحرير

....

في عينيّ ياسر (2)

تململ الانتظار

حيث ضمه، وضمني، عشقا ولهبا

ما بين الساعة والآتي

هدير يتلوه... هدير كثير

....

في صفو الحنايا، وارتداد الروح

حيث الثرى... يحترق شوقا

ظهر الهدير ملتذا، يجري في عيون البصر

دون عبير

....

لعله يأتي... من صخيب الليل

في القبر أو الزنزانة أو فوق السرير

هدير النور، وانكسار القمر، وارتفاع العشق

دون صوت في حديد النوى

أو صرير

....

في عيد أرواح الموتى

واستذكار المطر، واستمطار الذكرى

يتقلب الصمت، مكرّ مفرّ

ويمازج انتقال اللؤلؤ، وارتفاع النقع

يأتي ويذهب... يؤنسنا، يسوطنا، يلسعنا، يبلعنا

دون هوادة... في خضم بحر كبير.

- (1) استشهدوا جميعا في أزمان متفاوتة.
- (2) أخو الكاتب واعتقل في نابلس وحكم بالمؤبدات.

أعيش كذلك !

(1)
جنة هي ذكراك
ونهر هو الشوق ...للقياك
عيون التفاح تغرد
وأغصان التُقى
وربيع الملاح
وسجدة المنى
وارتفاع السلوى
في انتظار البسمة
أو قليل من النظرات
في رحيق دنياك
أعيش كذلك
وألثم.

(2)
في جنة الذكرى
نركب خيول الحصيد
ونُرجِع الزمن أميالا
و أياما
كانت وكنا فيها

نكثر من العبث والشراب
ونقلل من التفكر والنظر
نكثر من اللهو والجوى
ونقلل من الجد والنوى
نعتصر يومنا كما البرتقالة
ونختزن لما هو الآن....ذكرى
لأعيش كذلك.

(3)
نركب سحاب العيون
ونطوف ببيت الحبيب
في سماء الفرقة والبوح
وجذور التباعد
ومستراح الألم
نتمنى ساعة طويلة
في يوم لقياك
رغم الأسى كثير
وحزن عقيم
و رِدّة للطّيف
وانبعاث للشوق ...قاتل مرير

(4)
جنة هي ذكراك
ونار حقيقة لقياي فيك .

في ساحات الحارات البعيدة
لعبنا سويا في اتساع الروح
وركضنا لا يحدنا حد
وتكلمنا حتى حسدتنا الجبال
وأطلنا الحكايا والنظر والغزل
وكان يتبعنا كلب أنيس
ويعدو
وما هو ببالغ
ما بلغناه ذات يوم
من طريق بلا نهاية
وعشق
وولع
ودنف *

(5)
في جنة ذكراك
ابتسم ...وابتئس
وأعيش كذلك
دونما حاجة لواقع يسندني
أو حقيقة توقظني
من حلو ما مر وانقضى
في مرارة يوم طويل لا ينقضي .

* المرض الثقيل الملازم .

هواء الشكل القادم!

ارتقوا سطح السفينة
ليسوا وحدانا جاءوا وإنما مع الريح
اكتسب الداخلون لون الضباب
وشكل البرتقال
فأحدهم جاء من بين فكيّ محيط
والآخر جاء مكسور الجرة
والثالث كان صاحب صحيفة مغتالة
والرابع والخامس وكانوا رفاقا
ارتقى الأخوة سطح السفينة
يحملون أفكارا ويملؤون الوادي عيونا
مختلفون ، متغيرون، متمايزون
ولكنهم امتشقوا سيف التمرد
وصنعوا للوطن اسما ونغما وصهيلا
ارتقى الأخوة سطح السفينة
ألقوا بالثعالب في الماء
واغتسلوا من ذنوب الأمس معا
وغمسّوا من نفس الحديث
فكان البيان والتعميم والنشرة مرصد النجوم
وكانت فيهم الفكرة طيفا لا يفارقهم
تجمع الأخوة على ظهر السفينة
تكتلوا، تفاعلوا، تواصلوا، تصارعوا
ولكنهم رسموا في الهواء شكل القادم

أهازيج بيضاء وفرح واسع

وفي عيونهم بحرين وسماء خضراء ودموع

وكانت (الفتح) يقين أيديهم والشموع

أصبح المرتقون للسطح جموعا كثيرة ، ورافقتهم أشباح

كانوا ألوانا في رداء مزركش واحد

وأفكارا في ذات الصحن

وأنغاما في لحن واحد

وارتجاجات في دماغ مشترك

وأجسادا في ريق عسليّ

حيث ألقت الديمومة شباكها فوق أعناقهم

وبين الضلوع وداخل المحاجر

وكوّنت فيهم نفس الصابرين والمؤمنين

ومرجل الرباط وأمل الناس

سارت فيهم سفينة التمرد والثورة سنين طويلة

وعبرت فيهم عظاما ولحوما ودماء

ألقت بهم على شطئان ملونة وبين أنواء عصفت

وقصفت

ونسفت

وطالت واستطالت

فأحدثت فيهم الرزايا فروقا

وشروخا وصدوعا

ودوت بينهم أصوات وعوت ذئاب في ثوب أشباح

المركب كادت ترسو

ولكن الركاب أصبحوا هائمين

بعيون لاهية وعن غير قصد متين

كادوا يضيعون وينسون ويتغيرون

أم هل ضاعوا؟
لأن الهواء قتل فيهم حاسة السمع
وارتفع الطنين .

اغتصاب بيت !

يحقد المغتصبون على الفلسطيني إنسانا ، كما يحسدونه روحا حرة منفلتة ، ويكرهونه شجرا وعنفوانا وظِلاً ، ويشعلون نار أرضه ويلوثون هواءه ، ويقبرون ذكرياته في رجوم قراه والبيوت ، فهم لا يطيقونه بشرا أو بيتا أو خيمة بأركان أو حتى عريشة ، فيقصفونه ويدمرونه ويجرفونه وينسفونه ، وما أدركوا أن البيت هيكل الفلسطيني ومسجده أو كنيسته يحمله في كل قطعة من روحه وجسده حيا كان أو ميتا .

يغتصب العبريون الأرض فيجرمون بحق التاريخ والبيت وبرودة الطين وانتفاض الثرى ولون الشجر وعرق الفلاحين وابتسامة الفراشات وعجين الحوريات و خراريف ليالي الصيف والغوليات ، ويفترسون الوديان والأصفر والقبور والعاصور والحب والزنجبيل لتسيل الدماء من أنهار السماء بلا توقف.

يكبلون الأيادي بحريق الاحتلال وماء نفوسهم الآسن ، وأجسادهم الهازلة المسلولة القاتلة ، ويعصبون العيون برماد الجمر وفتات اللهيب وعصف الاسوداد ، ويطيلون القتل حتى سويداء الروح الفلسطينية الناجزة ، ويجرفون التراب والأرض حتى انبثاق الدم الفلسطيني أية من آيات الله الكبرى وآلائه العليا.

في فلسطين يغتصب الإرهابيون الشجر والبحر والشوارع والبطيخ والتفاح والنَّفْس والطين والبيت والأماني وطائرات الأطفال الورقية والأحلام ، ويهيلون التراب فوق الخياشيم وعلى عيون السوسن ، فيتحولون إلى خفافيش ، إلى حجارة صماء ، إلى أوبئة ، إلى ركام.

عندما يطرد المغتصب الناس من جسد الضحية يتشقق الجلد وتلتهب الأدمة، تتبلبل السرائر وتتوه الهمسات المحفورة في الجدران . وعندما يندفع المغتصب ليجرد الضحية من الضلوع والحنايا والأطراف ، ينزع من جلده العقيم آخر خلية تنبض بالإنسانية ، ويلبس ثوب الجبْن الهادر وقميص العيون الفاسقة ، وينفلق قلبه الواجف ، وأيادي الخزي ، ويتحول المغتصب بإرادة منه إلى دود الأرض.

وعندما يغلق المغتصب عينيه ويصم الآذان حين الدوي وتفتت القلب ، لا يأبه لانهيار المُنى في الضحية ولا لانحسار النظرات ودفن الرحابة والعجز والسماحة والعشق والأنين ، وانفلات النقمة والثورة والزفير من فوهة بركان الصدمة والفجيعة ، لا يأبه المغتصب لأنه يتحول إلى لوح صفيح بارد أو جعران نتن ، ويغدو مطرقة حديدية ثقيلة قاسية هادرة.

وعندما يجرد المغتصب معصم الضحية من سِوار الود والأمس اللذيذ ، المحشور بين الاتجاهات الخمسة و الطنافس والحشايا وفي المتكئات ، وعندما يجرد المغتصب عنق الضحية يتبعثر طوق الذكريات ، ورواسب الأيام ورتابة تتالي السنين.

وعندما يهم المجرم بفعلته يكون قد أشعل فتيل اللهيب في قلب بيت السلام من رفح إلى رام الله ومن خانيونس إلى نابلس ومن غزة إلى الخليل ومن دير البلح إلى جنين ، فتبكي عجوز فلسطينية عربية طلقة المُحيَّا نرجسية الحزن : بنسف بيتنا لم نأبه لهم ولا للدمار ، ولكنهم تركوا فينا المقت والمَرَار ؟!.

يتقدم سبعة من جنود يوشع المضبوعين بخسة اللصوص ، و وضاعة قُطّاع الطرق ، ويطوقون البيت من الداخل وفي الخارج بالمتفجرات وبالأسلاك ، بالحقد وبالدماء ، ويضغطون على السكين لتقطع الجسد الحيّ فيتفجر ، و يتحول خلال بضع ثوان طويلة إلى ذكريات حريرية شفافة تتطاير فزِعة إلى عنان السماء ، ويتحول إلى أحجار كريمة تضيء الجبين الفلسطيني ، وتُحمىَ على جباه وجنوب وصدور وقلوب المغتصبين .

الظـــل المراوغ!

اجتياح

تجتاحني الهموم مستوحشة

قطرة قطرة

كالظاهرة

وترعبني الأفكارُ النازفة من شقوق الكهف والماعنديات

والأصوات الحائرة

ويكتوي قلبي بلهيب صمت البرايا

ورموز الحقيقة

وطعنات الاحتلال

ويرتعدُ حلقي حين إغلاق المنابع وقهر الأوراق

واعتقال الفكر

يتلبّسُني الوجع المشرشر من سبطانة دبابة

ومُقَلتي الذئب

وحديد الرعب

ويركض العشب النابت في اللحم الحي

بين الوساوس والجنون

فأتساءلُ كل صباحٍ فالتٍ : هل ما زلت حيا؟!

أتنفس حبك والعذاب ؟!

أم تعجلت الرحيل؟!

ترتدين الماء

تلوحين من بياض القلق

في وعي الزنبقة

ليلٌ يقظٌ
تركبين الفرح وخيول الورد
وتكشفين الغد والخضرة
وترتدين الماء المطرز بالشجن والعكن
وأقفال اللغة
أسيرة

رشفتك ظلا

رشفتك ظلا مراوغا
وقعدت في شغف خيولك دندشة
وشهقت على إيقاع هواك والعواصف
توسلتك شهرا، توسلتك قُرْطا، توسلتك مطرا
وتعبت من إشارات الخيبة وظنون المرايا
وتعملق الرماد القادم مع الاحتلال
موجات قاحلة
احببتك اجتياحا ، احببتك انفتاحا
ورفضت فيك الغزو
ورقصت في شهب عينيك
سعفا شامخا

ظلا مراوغا

تفيض عليّ الدنيا بالريش المقصقص
والخريف
وتقصف في صدري سرّ الوقوف
وقمح الحبور
وتُردي ما تبقى من ألواحي في وحل الحديد

وتبقين في عظامي
ظلا مراوغا
يلبَسُني والخضرة
والظنون .

النـهر المتدفق رأيا.

أول ما يشدك إليه ابتسامته الشفافة وعيونه الودودة.... وشعره الخفيف، ووجهه الرائق ... لهجته اللطيفة

وقدرته الفائقة على التفهم ، على الاستماع ، على التمثل لما يقال حتى لو كان صعبا صلبا خطيرا.

قد تظن أنه يوافقك الرأي فيما تقول لإغراقه في الإنصات ، أو قد تظن أنه لا يسمعك لطول صمته ، ولكنك خائب في الحالتين حيث يفاجئك بقدرته على استرجاع أفكارك لربما أفضل منك

ثم يفاجئك أن صمته من حسن التواصل مع الآخرين

وفي مفاجأته الثالثة يطرح رأيه المخالف لك ولكنه المؤثر المقنع الواضح حتى ترفع حاجبيك عجبا، وتسند ظهرك إلى الكرسي تعبيرا عن الراحة والتأثر .

رجل جامع هو ، في طليعة الركب دوما ، جماهيري إلى درجة قد لا ترى فيها فارقا بينه وبين العامة ، يحادثهم ، يلاطفهم ، ويستمع إليهم فيما يقولون حتى لو زلّوا.

ولكنه رجل المواقف حيث لا يسمح لجماهيريته أن تكون على حساب المبادئ أو القيم أو أصول التعامل الراقي .

صدر ملئ بالربيع ، وعيون توزع مضامين الحديقة ، ولسان عن الفحش مصان ، وأيادي بيضاء في حركة التحرير الوطني الفلسطيني– (فتح) التي عرفته في سنوات الصهيل و العنفوان من فلسطين إلى عمان إلى لبنان عودة للوطن

وعرفته في مراحل التلبد و الاضطراب ، فكان في مرحلة الانشقاق طودا شامخا، وسدا مهيبا في وجه الانحدار ، وتيارا جارفا في جسد رجل واحد .

لقد شكل رجل الأقحوان تيارا مانعا للانقسام ، وبابا مفتوحا لروح التوحد، ورغبة الرتق ... فجاهد كما فعل كثير غيره ، جاهد في حوارات طويلة ولقاءات معقدة وتحركات صعبة علّه يمنع التبعثر في فكر الأخوة

ويحيطهم بمظلة من مفاهيم الاستيعاب ووسطية التفكير.... ما لم يستوعبوه فتكتلوا واختُرِقوا وساروا في دروب الآخرين.

عندما يكتب يستجمع التاريخ في كلمة.... ويعتصر الأفق في جملة.... ويرسم رؤية ... وينثر باقات حروفه على جمل مكينة ، وفقرات متناسقة

وعندما يحلل فانه يمس جوانب لم يصلها الآخرون .... وعندما يحدد يضع ألوانا حول الكثير من النقاط

وعندما يستخلص فانه يحوصل ويستجمع المديات ، ويبرم اتفاقا مع النص السياسي أو الأدبي أن يصمد كالحريق .

ليس بالضرورة أن تتفق معه في كل شيء ، فهو لا يطلب من أحد ذلك ، انه من مدرسة التعددية ، والصواب الكثيرة ....

نهر متدفق كبير هو ، ومن أعلام الفكر الحر ، و الإغداق المستديم ... لا يقبل منك تطابقا أو تماثلا ، ويقبل اتفاقا في الرأي أو اختلافا....

يحب الحقيقة ولا يغفل عنها ... يفهم الصراع ، ولا يتواني من خوضه حين الضرورة ، ولضرورة...

ليس بالضرورة أن تعبر عن تطابق أو تماثل ، ولكن من الضروري أن تحترم الاختلاف وتقدر الرأي الآخر ، ولا تخرج عن أصول الحوار وأسس العمل التنظيمي والسياسي والإداري السليم ....

قد تراه في كثير من المرونة فيه متساهل ، ولكنه حين تهب العواصف وتترنح الأشجار الضخمة تراه وقد تحول إلى صقر لا تهزه الرزايا ، وتجد منه صلابة كنت تظنها في شخصيته مؤودة ...

يتحول صقرا لا يقبل المساومة كما هم أبناء الفتح ، ونهرا لا يقبل الهدوء.... ويرفض أنصاف الحلول ، ويرفض الخطيئة ، وتسمع صوته مدويا في الغرف المغلقة وبين الكوادر ، وحيث كان الختيار.

أنت كعب حذاء ...أنت الملك!؟

(1)
تخفف من حملك
وانطلق
فأنت الكبير
أنت الملك
مهما الدهور تقلبت
ومهما العصور تبدلت
ومهما الطيور تمنعت أو زقزقت
ومهما الحمير سارت أو أحرنت
ومهما الجماهير أكلت أو جاعت أو تململت
لا يهم إطلاقا
أنت الكبير
أنت الملك
تخفف من أخلاقك
واركع أمام عهد ذِلّتك
واطلب دوام الديباج
والحرير
واستمرار خِسّتك
واطلب الغفران من طاغوت العالم
ومن عنزتِك
ولا تجزع من انحراف سريرتك
وانجرافك وراء عورتك

وشهوتك وأحلامك اللذيذة
وانعدام سطوتك
أنت المعظّم
أنت الأجلّ
أنت البارود
أنت الملك

(2)
تخفف من قيمك
من كبريائك
من عزتك
لا ضير في ذلك
أنت الملك
واسجد لربك الجديد
لا إله لك إلا هو
وللدولار المعلق في رقبتك
وألثم قدميه الشريفتين
بشفتيك ومبسمك
لا ضير في ذلك
فلقد تغيرت للتو كعبتك
ولكن ما زلت أنت أنت
أنت الملك

(3)

يقولون :

أنت الكارثة والأهوال

والخراب وسوء الحال

وأكياس الشعير والزلزال

فلم تعش في أحضانك إلا قوانين سادتك

تدك بها أحلام الملائكة

والعيون

والبيان

والسماء

ومفقود عزتك

لا بأس في ذلك

مخابراتك تتكفل بهم

وتركل أقفيتهم

وترجم صحفهم

وتسمل عيونهم

وتهتك عرض أخواتهم

وتكسر صدورهم

والأقلام

والأرقام

والعِزّة مما لا تعرف

والعنفوان

وتظل أنت الحقيقة

أنت الجلالة

أنت السمو

أنت الأمير
أنت الملك
أنت الرئيس
أنت الزعيم

(4)
لك أن تمشي كالثور الهائج
كالزعفران
كالزهرة
كالصابون
ككعب حذاء
كالطاووس
كالبعرة
كالكعك
سيان
ملك أنت ابن ملك
ما لك والوغى والدمار
ونجدة المجاهدين والأخيار
يكفيك الإنصات للإخبار
أو لموجز مما دار
فليس عندك جيش جرار
ولا شعب يحب الكُرّار
تعيش رغد الأذلاء والدينار
تجر ثيابك والإدبار
وقت الحرب والقرار
وإن بصقوا عليك

بالوا عليك
أنت الكبير
أنت الطاووس
أنت صاحب العظمة
أنت الزعيم
أنت الملك

(5)
تخفف من ضغط مثانتك
واشرب ولا تصحو
فلمن تصحو ولماذا تصحو يا ملك؟!
اشرب و لاتفتح جفنا واحدا
فأن تغفو عن مشاكل القوم
فهذا فعلك المعهود ، فعل الملك
اشرب حتى الثمالة
أمام الدمار
والحصار
والهزيمة
والاحتلال
والعار
واستباحة الحدود
والحرائر
والبلاد
والعباد
والشجر

والجماد

والقمر

وأمام الدمار

وانحلال الزنار

وأفول الربيع

وانتحار النهار

فما لك إلا واحدة هي : الفرار

من وجه أطفال الأمة

وأحزانها والارتباك

لا تقلق

فما للقلق خُلق الأمير

أو الرئيس

أو الملك

(6)

تخفف من جذورك

وإن تكن على شعبك كارثة

حرامي كبير

داعر عظيم

رئيس في بزة ملك

شيخ زنيم

آثم مبلل

شر مستطير

قاتل مأجور

خازوق قرير

كلب حقير
حلق بعير
كله مغفور لك
فأنت الكبير
أنت الأمير
صاحب الأمر والنهي في مملكتك
في غرفة نومك في سريرك
أنت الملك

(7)
مرغ شاربيك رمز الإمارة والملك
وربما حاجبيك ولحيتك
في عطر الفاجرات
وكعب الحذاء
وعجيزة المدنس
وبئر الارتهان
لصناع كوفيتك العربية
المغتصبة بين الغرب والأمريكان
واستجب ولا ترتبك
لإشارة من أصبع رجل زوجة سيدك
ومعبودك
فالكثيرون عبيد مثلك وعبيد لسيدك
لا تتزعج
فأنت فيهم الإصباح
والإشراق

والسبق

والرضا

والسعادة

والثوار لهم الموت والفتك

اقتلوهم واقتلوا هوشي منه

ومانديلا

وعرفات

وناصر

وغيفارا

والعورة في عورتك

أنت الأمير

أنت الكبير

أنت الصرير

يا صاحب الفخامة

يا صاحب الجلالة

أنت الملك

(8)

طلبوا إياك

ودفء حضنك راموا

واعلم أن الشجعان ناموا

والثعالب قاموا

والكرام سقموا

واللئام داموا

والمرابطين أعدموا

والفُرّار حكموا
والناس ناموا
أو أودعوا السجن
في (غوانتينامو)
فارقد ثملا مطمئنا
أنت الملك
أنت العجالة
أنت الوطاء
أنت الملك

(9)
تخفف من حملك
ولا تضطرب أو تزعل أو ترتبك
ما شأنك والأمة
يكفيك هموم سريرك
حكمك
و مضغ أحلامك والعلك
فالناس على دين ملوكهم
تخمة
وخوفا
وانهيارا
وفسقا
وتنهدا
و وضاعة
وعهرا

وغزلا أرعنا

وسيارة فارهة

ويوري

وعتابا

وتنورة عارية

وافتتان

ونسوان

ووقوع في الهوى والشبك

شعب الرئيس، مثل الرئيس

شعب الملك، مثل الملك

أنت الرئيس

أنت الملك

(10)

تخفف من أحمالك

من ثيابك

من (كيلوتك)

وأهنأ بحريتك

مهما العيون حملقت

ومهما القامات جندلت

ومهما الأنفس كتمت

ومهما المشانق علقت

ومهما القرابين قدمت

مهما الفجاج أغلقت

مهما البلاد دمرت

مهما الثروات نهبت
مهما البيارق مزقت
فإنك عهد وإمارة
وربما عقب سيجارة
من يوم مولدك السامي الى أبدك الدامي
أنت كعب حذاء وبكارة
أنت الأمير
أنت الامام
أنت الرئيس
أنت الحرير
أنت الخرير
أنت المصير
أنت الصرير
أنت الملك .

*** رام الله– فلسطين ، كتبت في ظل احتباس الأرواح ودفن القومية في نجس الارتهان والخذلان لرمز الأمة والثوار والصمود الشريد الطريد الشهيد ياسر عرفات.**

بركة الإمام أدام الله ظله!

من عالم يسبّح بحمد طاغوت عربي لا ينظر في وجه رعاياه ولا حتى وزرائه إلا عبر شاشة تحجبهم عنه ، لأنه يرى بنفسه الخلود والسيادة والعلياء ، وحتى بعد قبره لم يستطع عبيده التحرر... إلا أن أحدهم اخترق جدار الصمت وأرسل لنا هذه المخطوطة مرسومة على جسده جثة نقلت عبر الحدود .

أعواما طوالا انتظرنا

نحن وآباؤنا وأجدادنا الأوائل

لنظفر معا– ولم لا – ببركة الإمام ونيل الرضا

وفسحة الدخول لمجلس ولي النعمة والقضا

ألقيت عليكم السلام يا سيدي

إذ حظيت بفرصة رؤياكم

فثار غضبك العرمرم وبدا لنا ظهرك العريض

وعباءتك السوداء الطويلة والسر الشريد

ولم تجب!

أدركت أنكم تغتسلون في عالم آخر ... اللهم آمين

وتتصلون مع ذاتٍ زالت لكم عنها الحُجُب

أو هكذا قال لنا الحاجب ...اللهم آمين

عدت القهقرى ناكصا مدحورا ذميما

حدثتني نفسي– والنفس في هوى الإمام متيمة– بالعودة

فعدنا– إذ لم أكن وحدي في صحبة الآباء والأجداد

وأنعم علينا حاجبكم بكرمه...فدخلنا معا ملمومين

مطأطئي الرؤوس بذلة خانعين

وطرحنا عليكم السلام في ثانيتين

قطبتم يا مولانا المعظم الحاجبين
والخدين وزممتم الشفتين
هللت والصحبة المنتظرة منذ قرون
هللنا للحاجبين الشريفين لواء للنصر المؤزر معقودين
الى مجلس الإمام الأكرم والحق المبين
عدنا وقد أصبحنا كثرة والنفس الى هواكم في حنين
ألقينا عليكم سلام التبّع طلاب النعيم
بصق الإمام الجليل في وجوه كبار القوم
عفوا أراذل القوم عند رمل قدميك الحميم
وتناثر الماء النفيس على الوجوه والثياب والعمامات
على القمصان وربطات العنق و البدلات
فرحنا ... ويا ليتك تدرك عمق فرحنا العميم
فنحن وزراؤك مستشاروك أركان دولتك
نحن رباط حذائك وثقب بنطالك العقيم
نحن خدمك المخلصين يا معلمنا من عهد آدم الى يوم الدين
قد بوركنا منكم منذ حين
مسحنا الجباه بالبصاق المقدس وتمتمنا شاكرين
ورجعنا الى الخلف نوزع عشرات البسمات
ونقول في حكمتك وحنكتك وعظمتك وعليائك
أبيات الشعر ومئات الأهازيج في يقين
إن مولانا المظفر نظر إلينا ، كلّمنا ، انفرجت شفتيه لرؤيانا
وكرّسنا خدما خلّصا ...دائمين
إن مولانا المجتبى قد باركنا أدام الله ظله ...أللهم آمين
ولأن العود فينا طبع وتأسي من عهد مضى
عهد الآباء والجدود والركع السجود وعند عتبة الأمير
عدنا وسلمنا عليكم بالإمامة والرياسة والجاه والحرير

سلمنا عليكم بالسلطان والحظ الجدير
وكان ابنكم ولي عهدكم يبول على كرسي الخلافة
ضحكتم حتى بانت شمس ساطعة وربيع زاهر
وانشرحت أسارير وجهكم القمطرير
وعيون رأسكم الموزون الثقيل
وأسنان ثغركم العاجي الأصيل
قهقهتم طويلا ومن فرط عجبكم شتمتم وجوه القوم
شتمتم خدمكم المخلصين ...نحن
فأنزلنا البيانات والمقالات وحبرنا الصفحات
وحدثنا العامة عن الخبر الخزين ..وما هو آت
أنه أطال الله عمره قد أسبغ علينا من حكمته
ومن علمه ما لا تدركه البصائر ولا تحسه الحرائر
وأنه قدس الله سره قربنا الى جواره السّوي
وقدم لنا من خيرات ولي عهده ما لم نحلم به
وما فاض فينا عن الحاجة
أدام الله عزكم يا مولانا الجلّي
وأبقى الله لنا ذلنا وطاطأة الرؤوس
في مجلسكم الأبدي المبارك العليّ.

تحية إلى جفون الوطن

وصلنا عزيز خطابكم ونقول :

تحية طيبة

تحية فلسطين

تحية أهازيج الليل وحنون الوطن

تحية الرفض المدوي في سماء القرار

والتخندق في وجه الغول والإعصار

تحية أعناق الحمام المزركش والعندليب

في بلد المزن والرحيق

تحية الصبايا المطلات من شق القمر

من فلسطين

تحية الحائمات دون توقف

في سماء القطوف

والذهب

تحية الثوار المتحصنين أمام الحريق

وخلف المدفع

وتحت الضباب

وفي صدر الزمن

تحية الزمن المشدود

في قبضة محمد

تحية المقبلين

وخيل الكُرّار

تحية الساهرين على وجع الفراق

ودمع الشهيد وغصة الأسير

تحية النغمات الذهبية
في الصدور والجنبات
تحية الوجع الصارخ
والعيون الزجاجية
تحية مروج الوطن وماء بحر غزة
تحية الأرجوان وجنين القيامة
تحية الواقفين منذ بدء الزمن
والى آخر الزمن
في وجه الظلال والحزن
في وجه المارد والنازيين
والانين
تحية الجبال الصامدين
وامهات الواقفين
تحية الفتح الآتي لا محالة مسفر
كالصبح مبين
تحية الجؤذر الثاوي على عرق تين
تحية الأسود المكتوية
بنار المساحات المتراجعة
تحية الصابرات على دم الكرم
والإغماضة الأخيرة
تحية الأسى المعلق في أرواح الزيتون
وتحية العشب النابت في فكر الطفولة
والرجولة وتيه الأيام والكهولة

زيتا مقدسا وضحكات وبسمات
وخطوات قمحية
تحية نبع العقيق
والشجر المحلق
والجوى
تحية المرابطين
في أبد النضال وعناد الكفاح
ونجوم النصر
إليكم
يا أهلنا في البعيد
في القريب
في القلب
في المقل والخلايا وحين النشيج
تحية من فلسطين
ألى جفون الوطن
إليكم

حاكم المردة.

إلى الطفل الفلسطيني الذي استشهد على أحد الحواجز الإرهابية قبل أن يولد ** .

التقط روحك البيضاء المحلقة،

واقطع أنفاسهم والهدير ،

وارفض غضب الليالي ونفير المدحورين

وعسجد القمر .

التقط حجرك الفضي وصرير البنادق...

وارفض شبح البرابرة ورماد العيون .

التقط مأساتك ، ملهاتك ، شجاعتك ، قلبك الصغير ...

وحاكمهم .

فالمردة خائفون .

كاد يسير شرقا واقفا ،

ويقعد همّا واقفا ،

وينام سعادة واقفا .

كان يمتص غذاءه طيرا حالما ،

ويتهادى كالحد ، كالجرف ، كالمنعطف ، كلوح زجاج ملون ...

عشقا وانغماسا في بئر الرضى ،

وعقيق العيون والتراب .

يربِتُ فرِحا على كتف أجداده في القرن الماضي

وأولاده وأحفاده في القرن القادم ...

ويسقي شعير القلب النابت بالدم والدمع
وعصير الرزايا .
حاكم المردة المتجردين
ولا تسامحهم ...
واضرب بعصاك قلب نابلس
ينبعث منه اثني عشر نورا ، وحقيقة،
وكفاية .
التقط حجرك الفضي وامتداد النصل ،
وألقمهم رجع الريح وانذار الوريد ،
وورق الورد .
وارجم بقلبك حديدهم
وصديدهم
واقطع حبلك السري وهاجم ...
أكاذيبهم والغرق ،
وخيالاتهم الهاربة من غزة وحلحول ورفح وجنين.
التقط آخر أنفاسك جملة واحدة ...
وانفث حممك ،
براكينك ،
لظاك ،
في احتقان المردة وخوابيهم،
وأهنأ وأمك .
فالمردة منك مرعوبون .

حيث لا همس ولا وجوه!

إلى البعيد ، نعم هناك ، حيث تعرف... حيث تعاهدنا ذات مرة .

هناك... حيث الوجوم القاطع ، والفضاء الساطع... خذني ، ولا تتردد .

فاللجام الفضي على فمي قد شُدّ ، والفراش قد طوي ، والقافلة في انتظار .

لا تتردد... دعني اكسر قيثارتي ، واقتلع معي أحجار عرشي ،

ومزق أوراق أمسي ، وقدني إلى حيث أتمدد في لحدي.

قدني فيك حتفا، ولعنة ، وهاوية .

خذني واحدا ، اثنين ، قطعا، مِزَقاً ، كتلة واحدة ، أو كتلا وسوائل .

هل هناك فرق؟!

خذني حبوا ، أو جريا أو طيرانا .

خذني بلطف أو بفظاظة ... أبدا ، لافرق .

اقتلعني من جذور النفزة والسهاد والحمحمة والريش

اقتلعني من وادي الحظوة والكائن إلى الحسرات و الشفير .

خذني إلى حيث لا كلام ولا هبوب ولا ألوان ولا همس ولا وجوه ولا نظام .

خذني إلى حيث الفوضى كحلا في عينيك ، والكوكب يرقص دون انتظام .

خذني إلى حيث اللاشيء يعسكر ، والجنون يسود ، والكون يغمض الجفن

واتركني... أجمع فيك غيوم الشفاه بلا كلمات أو خصام أو أسى .

بصمت يعتصرني ، يبهرني ، يصفعني ، يذبحني.

دعني والماكان وانتقل بي على جناح الرغبة ، وحظوة اللظى حيث الأعناق ملقاة بلا أحداق بلا أجفان بلا قسمات ولا ألحاظ .

وحيث النجوم مأزومة مربوكة تصلي دون حركة ، في صمت صاخب مطير خال من الرفعة والأنا والاهتياج والبريق .

خذني مقيدا مصفدا مسربلا ، إلى عين الزوال ونوم المتهجد وراحة اليدين الخشنتين، وامتزاج القناة بترياق السنا.

خذني ، إلى البعيد .. هل تذكر ؟ حيث تنهدنا ، تعاهدنا ، تواصلنا ذات قبلة .
إلى حيث لا كلام ولا هبوب ، ولا ألوان ولا همس ولا وجوه ولا نظام .
اعتصرني ولا تبقي من دمي قطرة حياة واحدة
ولا رجفة صدر أو رعشة جوانح أو حلم .

اعتصرني و لا تتركني إلا هامدا خامدا بلا ذكريات ... اتركني لا شي .
بين حناياك ثناياك رغباتك ، شفتاك ، انفراج ثغرك .
وأهلكني ، ثم اقذفني بقوة ، بقسوة بلا رحمة... بلا روح ، في البعيد .

عمار النمر الذهبي !

عرق الأرض
وأنبوبة الشفق
أخو الشمس
وانتصار النور
عمار
ارتفاع الغيوم
وانتزاع القلب من رقيد الدنف
عمار
راح مرتحلا
دون مطر
أو قبلة
دون يد تلوح
أو دمعة
راح مرتسما على شفاه الوجد
وغاب دون وجع في لظى الحبيب
وتدثر بتراب الحقيقة وخبب النوح
كان يمشي مرتهنا حضيض الوغى
كان يرقد في نار الندى
ويؤجج في المدى رحيق الأنبياء
يتمطى كالنمر
ويتقافز كالنمر
ينظر كالنمر
ويعدو كالنمر

عمار

فرح الثريا ونذير الوداد

في داره صورة التقوى وعبير النجدة

في عقله خباء الإخلاص ومرار اليوم

بين عطفيه إنكسار القلق

وسمو الصقور

بين يدي عمار جلست أمة

وبين أصابع عمار انزاحت غمة

وبين عينيه تبصر صدى النفير

ووشم الانتصار

قد يكون أحب من البرايا

أباه

امه

أخاه

زوجه

أبنه

ولكنه أسقط أنين القلب

وكره المادونيات

والزخرف

والألم

والدمقس

وما غير الحصير

وطار في ربيع الرخام

وطلّق برج النجوى

وأسرج ظهر السديم

وعاش

في حيوات أُخَر
ونجم آخر
أين ركب جناح الطير
ورفرف فوق سماء الروح
و في عين الهفوف
وقع في سويداء النحر
وحنين الماسيكون
نمر ذهبي من نمور جنين
صعد
وارتقى درجات.

*عمار أبوبكر اخو الكاتب الذي استشهد في مقاومة الاحتلال في ربوع جنين.

هناك حيث اليقين !

هناك حيث الانحناء طبع مقدس ،
والركوع علم والسجود هوى.
هناك حيث تلمُّسُ مواضع الأيادي
والأقدام والجباه سُّنة.
وحيث تتبّع أثر القُبلة والكلمة
والهمسة والأنفاس،
طقس لا يحترق.
هناك اتركوني لعلي ارتحل .
هناك حيث اكتشف عليّ بلاغة النخيل ،
وامتلك أبوالطيب فضاء الكَلِم ،
ولبسا ثوب الحكمة.
هناك حيث تقاسمت الأقوام انبثاق الندى
وعظمة الرافدين
واكتشفت سحر بابل.
هناك حيث ارتحلت الحضارات
لا تخشى الردى،
وانعقدت فيها للمشاهد
والبقاع والعشق الجليل
رايات دون العدا .
اذهبوا وتعلموا واتركوني.
هناك حيث الانحناء في الآشوريين طبع رفيع
والركوع عالم قائم والسجود بلا كلل.

هناك حيث ينحنون للنخيل
ويقبلّون التقوى ،
ويرصدون الاشتعال ،
ويكتبون على وجه الماء وسطح الجريد
أسطورة السومريين .
انطلقوا علكم تصيبون منهم شيئا !
في العراق يركعون للأغصان
وكلمات الربيع وانبهار اللون
ويخضّبون الذكرى بالطين المعتق بدم أهل المذبحة
في العراق يرتشفون من بئر كرامة الأولياء
ولطائف الأئمة والمجتهدين.
ويغتسلون حيث جدائل الشمس تسبح في متن العبور
هناك حيث كتب سعد والرشيد والزبير والمثنى
فصول انتصاراتهم .
وحيث انبرى الحسين وأبوحنيفة والكاظم
للدفاع عن حقهم المبين .
وحيث القافلة تحمل عطرا وحريرا وكتابا وبريقا
ولهاثا في ركاب العباسيين .
هناك حيث التصوف نِحلَة
والحب ديانة
وامتشاق بغداد صلاة
والبكاء طائفة
والتصالح مع الله عنوان .
أتركوني أنحني وأركع،
وأسجد مليا صبحا وعشيا ،
علنّي أشبع.

هناك في عراق الهدير وصليل القصائد
وتقوى باسق النخيل .
دعوني أذوب ، أشهق ، أغرق ،
لعلي أتوب ، لعلي اليهم أعود .
هناك حيث الانحناء صلاة والركوع دموع
والسجود حج مبرور .
دعوني وإياكم نتنفس حبر دجلة
وصفاء الموصل وغبار كربلاء
ورطوبة البصرة ولزوجة التاريخ
هناك حيث المجون والنساء والنبيذ
غير بعيد عن صرخات الإمام
ولطمات المتشيعين .
دعوني أعبث في السقف والعويل
في دار بابل حيث الوغى يتراقص
بين النخيل في الحلة والناصرية
وفي نجف أمير المؤمنين .
هناك حيث الانحناء رقص والركوع فعل قديم
والسجود جود بلا حدود
دعوني أغسل أقدام الحجر
المقيم عندكم من فلسطين
وأقبل المراقد والأضرحة والسنين
وأعبر الكون وشاهق السحاب
لأُدفن في الكوفة و بيداء العرب
وليل الملهوفين
من أجل لحظات النشوة
واللذة و اليقين .

الهند حيث تتصالح الأشياء والكائنات

في الهند حيث التجاور فعل مضارع، تضع الحرب أوزارها، وتعقد الاتفاقيات، وتتصالح الأشياء. تكاد تتصرف عن نفسك هناك، حيث الأشياء تضع رؤوسها على مخدة واحدة في جوار محمول على الزهر.

لون السماء ينقلب في الأنفس والروائح ومتن الأشياء، فعندما تنظر إلى الأزرق يكاد يخيل لك أن الشجر والبحر والبشر والبقر والتوابل والعصافير والناس كلهم زرق الوجوه! ينعكس انتعاش الغيم وفرط النعيم وطعم الموج في بطن السماء، فلا تكاد تفلت من يديك حزمة ضوء.

اخضرار الأرض الريانة يلقي بخصره على ولع الطبيعة في النماء الخالد. كلٌّ أخضر في ذاته وحين يطل على الآخرين يجلب لك ولهم وللاتفاقيات والأشياء المتصالحة نسائم السكينة، وكثيرا من الحظوة، مع ما لا يدرك من الاختلاف...تلحظه وقد لا تراه ولكنه في خطو وئيد نحو التماثل.

تتجاور الأشياء المختلفة وتتصالح حيث الحجر في مستقر، والشجر في تسبيح والوادي يخبر الجبل قصة من كتاب (ألف ليلة وليلة) حيث قدم التاجر العربي ليطأ دلهي ينشد الحرير، فارتفع إلى السحاب ومازال أهله وأهل دلهي ينتظرونه،.قال الراوي: كان قد ألقى بأحماله بين دعوات الصخور وتهجد النهر وارتواء النغم...فارتفع مع أول سحابة حين هبوب الريح.

في الهند تبكر الكائنات للحاق بثوب الأمل، ولترسم على اصبع القدر كلمات صغيرة، و مربعات صغيرة وظلال حمراء كثيرة بقلم كثيف اللون.

وفيها ينتشي النحيب فينسى قسمات الأسى، يتأرجح مع تثنيات الأغصان، يرقص في حضرة المرمر...يقدم فروض الولاء والطاعة.

بلد الكل، وكل شيء، بلد الواحد والوحدان، حيث الكثير في واحد، والوحدان في قمرة المعتقدات والأفكار والأنهار واللغات واللهجات والألوان والمكان وماوراء المكان والعينان والكروان كثير....تتبرع الكائنات دون وجل منك لترسم لك خطة الوصول لعتبة العشق، وتعلمك أصول أنّات الوجد وصرخات الصوفية حين الوصول إلى الحقيقة.... في الهند صرخت كما صرخ سلاطين المغول المسلمين قبلي: وجدتها وجدتها.

بلد النفير العام واللؤلؤ والزفير، بلد التصالح في الذات والجوهر، في المعنى والمظهر، بلد التصالح بين الاتجاهات والرمال والجمال والمتناقضات المتآلفات تدور في أفلاك متجاورة متقاطعة متجاذبة متنافرة متقافزة متشابكة متفرقة....وهل في غير الهند يكون ذلك؟

لا حرب، ولا جدال، لا نزاع ولا قتال....هناك تتصالح الكائنات مع الأشياء فلا ترى فرقا في اختلاف الألوان، ولا ترى عجبا حين تتجاور أنت مع بوذا وشجر

الليمون والبقر المقدس والجوز والببغاء في طريق حيدرأباد، والسلطانة راضية وأبو الأعلى المودودي وغاندي وبابا حاجي والملاريا، والنهر المتوسد والنمر المفجوع بتقدم الأغراب وأفيال المحبة وأعياد الهندوس والفطر والميلاد والغدير وعندما وصل الحكيم إلى (النرفانا).

تتحاور السناجب على مسمع منك، على أغصان الشجر المجاور لبيتك، وفي أشجار الحديقة حيث يتنادون ويتناجون ، يتلاومون، يتوددون، يديرون ظهورهم ويتوارون... ثم لا تلبث أن تعود منهم إليك لغة الفعل المباح في دنيا الحقيقة والأرواح والخيالات و(الغورو) من أشوكا وكريشنا إلى راما وغنيش الفيل وصولا إلى أوشو المسجى في مدينة بونا.

تظهر الألوان باجتهاد ، تتوزع بينك والأشياء وبين أصحاب المذاهب والعبادات فلا تترك مساحة بلا لون أثير أو حضن وثير....تتمدد الأبقار بين المنازل وفي الساحات، تلعب، تتثاءب، وتعبث...تأكل، تتكيء إلى ما شاءت وأينما شاءت، وعندما تقرر تقوم...تتمشى بكل أناقة، وبرزانة الواثق والمحبوب...هلا نظرت قليلا إلى ميمنة صالون الأبقار لتكتشف جماعات من الكلاب تتحادث بصمت، تتهامس، وتلقي عليك التحية.

في الهند تغمز الأنوار والأقمار والأسماك والأردية بعينها، وتركلك الحقيقة والضباب والتصالح بين القافلة والقلعة، بين الفلاة والمرج، وحيث التسبيح فعل لازم، في الأشياء والكائنات...وليس فيك وحدك. وحيث التسامي والتأمل والقفز بين جبال الروح وفضاءات النفس وغدران القلب رياضة يتقنها ما لا يتحرك والمتحرك، العاقل والفطري.

لا تكف وأنت في مقام تجاور الحضارات أن تبغض الحروب وتبكر وترسم وتناجي الله، تدعو وتراقب روحك المنقبضة وهي تتمدد وتنبسط وتسمو، وتتصالح فيك ومعك ومعهم....وترقى فيك من نافذة الأريج إلى فك رباط الأنا والاندفاع من مذود الرقاب. هرولة نحو الاندغام في لغة الأشياء والظلال.

في الهند تتجانس المختلفات، وتتآلف المتفرقات، وتشبع الأنظار من كلمات القطرات الحانية، تتقابل الذاريات وتتنحنح النجوم ، فالغمام يستعد للخطبة.... الكل صامت يترقب الإشراق بخشوع، وبعد الكلام تضج القاعة بالتصفيق...وتستعيد الطبيعة التصالح والسكون.

صديق!

صديق

كتف وقت الصعاب بالأحمال لا ينوء
وجبل حين الشدائد ثابت لا يمور
وسقف يحمل الخلود بكفيه ولا يجور
يغرف من عين الياسمين إصباحات كثيرة
ويعزف نغم الثوار في صبر الثرى

صديق

حاجة الروح المتعبة لقليل من الفرحة
ومنية الشقي لقليل من البوح الحزين
وملاهي الطفولة حين ارتداد الفؤاد
يغرقني بعينيه ومجاله وحقل قلبه وتردد أزمانه
بلا معين

صديق

عظة الأيام ودرس الأمس ومسار الغد
اللاهب حين السكون ، والهاديء حين اندلاع النار
العاذر فيما الخطأ كبير والكريم دون عتب مبين

صديق

رفقة ريانة وجلسة أثيرة وضحكات صاخبة وكوب قهوة

ذكريات قادمة ورحلات جميلة فاتت وعبور رشيق

صديق صدوق ومخلب قط ضد البغاة ، وقطعة حرير ومعدن ثمين

جسور هدى وليل للظمئى والحالمين والمنكسرين والأسرار لذيذ

حبل مودة يرفض زمان القطع في انتشار الأثير ، ورذاذ سمين .

صديق

انتقال الصدى بين الأعماق وتمركز الجذب في مركز النظر

كيان الاعتصار وذوبان الريح وفضاء التقلب

لذة الاقتراب ومراوغة الفراق وضمة ورد

إعصار جنين في ليل الواهمين

وعاصفة غزة في سيف المتنبي

وأسطورة رفح في كتب السنين

وتمرد نابلس في متكأ القانطين

يغرف إحساس فطين

صديق

أتحسس فيه أيامي الوادعة والحارقة والحنين

وأرسم من شعاع انبثاقه الوردي أحلامي

أركض عبر كلماته وحركاته ، وأغوص في معاني همساته

أرتحل في برق ندائه دون زاد أو ماء ، وأجلس في فناء قلبه أليفا

وهو يغرف من نبع الزبرجد عندي ما يشاء بسلاسة مستكين.

صديق

هو عنواني والتئام جرحي وانتشار الرجاء في عيد التوابين

هو الفضاء المنفلت من وتد الصمت العميم

والبياض في حلكة القساوة والجشع والذئب الأغبر

هو المأمول المفقود في رياض التائهين .

المؤلف

مواليد فلسطين 1960

بكالوريوس هندسة مدنية، ماجستير علوم سياسية

كاتب وباحث وأديب

له من النتاج الأدبي:

1-لم لا -مجموعة قصصية ،بيت الشعر،رام الله 2000

2-في الزمن الواقع بإمكانكم أن تطيروا -مجموعة قصصية، دار الشروق،عمان، 2003

3-برق مقيم (نصوص) اتحاد الكتاب الفلسطينيين-القدس ، 2004

4- ثلاثة شروط بسيطة (قصص)، اتحاد كتاب تونس، 2007، وط2 في 2010

5-ليس للفقير أن يحلم (قصص)، بيروت 2010

كتب سياسية وفكرية:

1-مفاهيم لا بد منها، عناة للنشر، رام الله 1997

2-مباديء المسؤولية التنظيمية، عناة للنشر، رام الله 1998 .

3-كيف تقيم معسكرا؟، التوجيه السياسي، رام الله 1997 .

4-حركة فتح والتنظيم الذي نريد، عناة للنشر، رام الله .2003

5- وجوه القيادة،المركز الفلسطيني للدراسات، رام الله 2005.

6-القيادة والعمل بروح الفريق، التوجيه السياسي، رام الله 2004

7-تحقيق الفوز في قيادة الحملة الانتخابية،اتحاد الطلاب، رام الله ، .1999

8-التدريب التنظيمي، لجنة اعداد الكادر، رام الله 2005، وط2 في 2011

9- حركة حماس سيوف ومنابر-دار عناة، 2008. وط2 في 2012